الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشاذلي بن جديد - الطارف

كلية الآداب واللغات

قسم: الأدب العربي

الرقم التسلسلي: .....

رقم التسجيـــل: .....

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والادب العربي

تخصص: لسانيات تطبيقية

بعنوان:

# الجهود اللغوية عند علماء الجزائر "تواتي بن تواتي أنموذجا"

إعداد الطالبتان:

- طيبي إيمان
- مباركي وفاء

إشراف الأستاذ:

د. قدوركحالة

لجنة المناقشة:

| اسم ولقب الأستاذ | الرتبة | مؤسسة الانتساب | الصفة |
|---|---|---|---|
| عجمي حسان | أستاذ التعليم العالي | جامعة الطارف | رئيسا |
| كحالة قدور | أستاذ التعليم العالي | جامعة الطارف | مشرفا ومقررا |
| سوداني عبد الحق | أستاذ التعليم العالي | جامعة الطارف | عضوا ممتحنا |

السنة الجامعية : 2025-2026

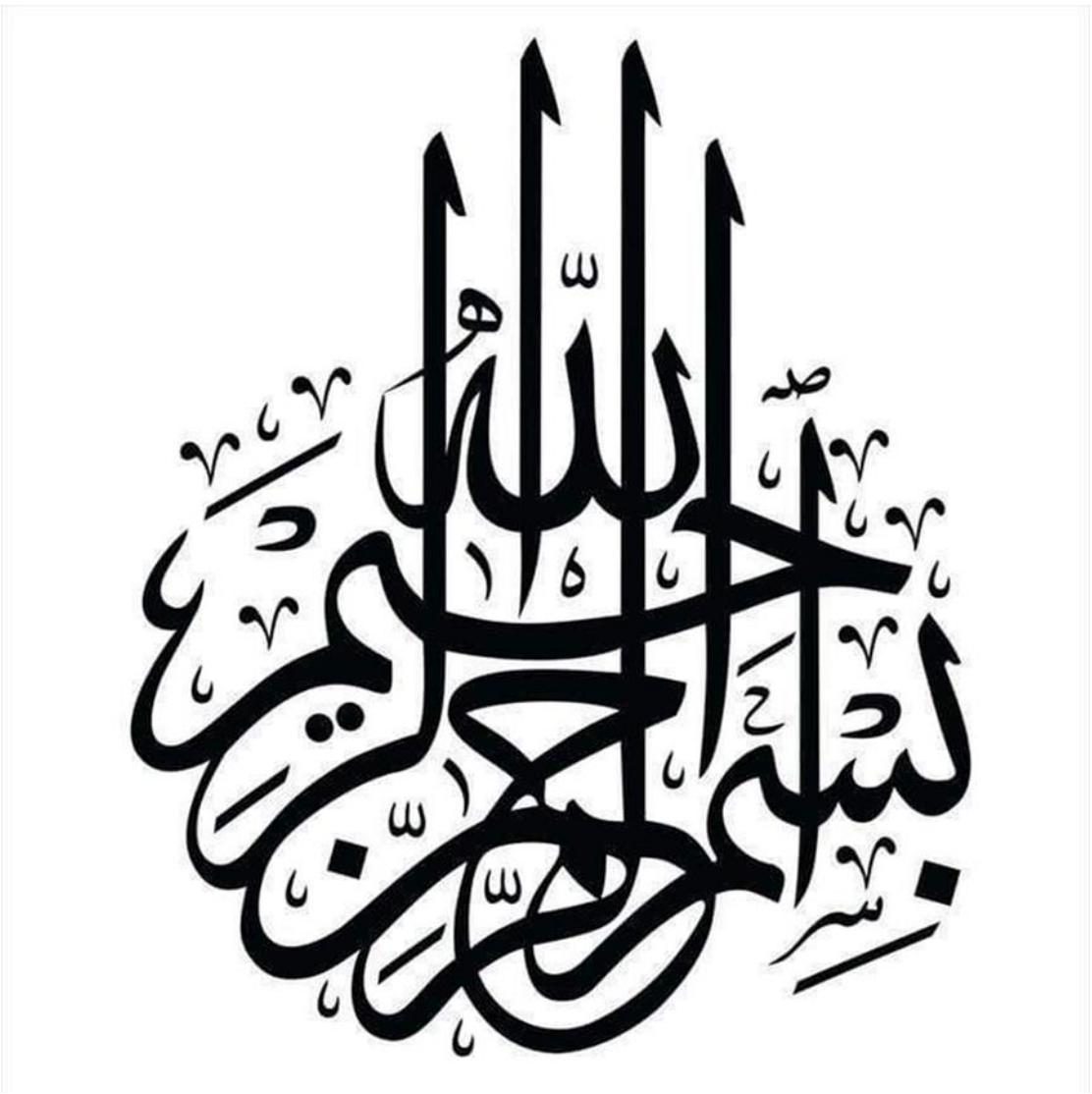
بسم الله الرحمن الرحيم

# شكر وعرفان

**فالشكر لله أولاً الذي أوصلنا إلى هذا اليوم، وجعل المسببات و الأسباب لهذا النّجاح،**

**كما لا يفوتني أن أشكر من وضعهم الله تعالى لنا سببا لنجاحنا في هذا العمل المتواضع**

**بدءا بالمشرف على هذا العمل، والموّجه الأستاذ الدّكتور:**

**"قدّور كحّالة"**

**الذي كان له الفضل في اقتراح هذا العنوان، ورعايته لهذه المذكّرة بالنّصائح القيّمة**

**والتّوجيهات السّديدة،**

**كما نتوجّه بالشّكر الجزيل لأسرة قسم اللغة والأدب العربي بجامعة الشّادلي بن جديد بالطّارف**

**وإلىّ كل من ساعدنا في إنجاز هذا العمل العلمي الرّفيع.**

# إهداء

**بداية أحمد الله، العليّ القدير على توفيقه لي وتسهيله. فقد أنهيت مسيرتي الدّراسية بعد سنين من الجدّ والتّعب**

**أهدي تخرّجي ونجاحي إلى كلّ روح شاركتني بدعائها**

**إلى من أوصانا عليهما الله**

**إلى من علمتني أن الحب ليس له عمر وأن العطاء ليس له حدود أمي الغالية**

**إلى الشمعة التي احترقت لتنير لي طريق حياتي أبي الغالي.**

**إلى كلّ أحبتي**

**وإلى كلّ من كان لي عونا وسندا لي بعد الله تعالى.**

**وفاء مباركي**

# إهداء

**أهدي هذا العمل إلى من كلّله الله تعالى بالهيبة والوقار، إلى من أحمل اسمه بكلّ افتخار، إلى من كان سببا وعونا لي بعد الله في بلوغي هذا المقام. أرجو من الله أن يمد في عمره، ويعلي مقامه في الدنيا والآخرة أبي العزيز:**

**إلى من تتسابق الكلمات لتخرج معبّرة عن مكنون ذاتها، إلى من كان دعاؤها سرّ نجاحي.. إليك أمّي الغالية**

**إلى من ساندوني في الحياة، وعرفت معهم معنى الحياة أخوتي أطال الله في حياتهم، وأنار دربهم.**

**إلى روح جدّتي الغالية**

**وإلى روح أمي الثّانية اللّتي أنارت لي أيّامي حين اشتدّ الظّلام، والتي زرعت التّفاؤل في دربي أنار الله قبرها، وجعله روضة من رياضه**

**وإلى من تحلو بالإخاء، ونقرّ العين لرؤياهم، ويطيب القلب للقياهم أخوالي الأعزاء**

**وإلى كلّ أحبّتي الذين ذكرتهم أو لم أذكرهم**

**إلى كلّ هؤلاء أهدي ثمرة هذا الجهد العلميّ الطّيب**

**إيمان طيبي**

# الملخص

## الملخص:

### 1/- باللغة العربية:

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على الجهود اللغوية واللسانية للأستاذ الدكتور تواتي بن تواتي، بوصفه أحد أبرز أعلام الفكر اللغوي المعاصر في الجزائر، حيث تسعى المذكرة للإجابة عن إشكالية محورية تتمثل في مدى قدرته على بلورة مقاربة متكاملة تجمع بين استيعاب التراث النحوي العربي الأصيل والانفتاح المنهجي الواعي على اللسانيات الحديثة، ولتحقيق ذلك تم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي لرصد وتفكيك مادته اللغوية، والمنهج التاريخي لتتبع مسار تكوينه وتطور فكره، وقد انتظمت الدراسة في فصلين، خصص الأول للإطار النظري وتتبع الجهود اللغوية لعلماء المشرق والمغرب والجزائر، بينما أفرد الثاني للدراسة التطبيقية الشاملة لآراء التواتي في مستويات الصوت، والصرف، والنحو، والدلالة، والمعجم، والبلاغة، وتفسير القرآن الكريم، وقد خلصت الدراسة إلى نتائج هامة أبرزها نجاح الدكتور تواتي في تيسير وتبسيط النظريات اللسانية المعقدة بيداغوجياً، ودفاعه المستميت عن النظرية الخليلية الحديثة، وقدرته الفذة على تحقيق التلاحم العضوي بين علوم الآلة اللغوية وعلوم الغاية الشرعية من خلال تفسيره اللغوي والبياني للنص القرآني، مما يجعله مؤسساً حقيقياً لمدرسة لسانية جزائرية معاصرة تجمع بين الأصالة والمعاصرة.

## Résumé

Cette étude vise à mettre en lumière les efforts linguistiques et langagiers du Professeur Touati Ben Touati, considéré comme l'une des figures de proue de la pensée linguistique contemporaine en Algérie, car ce mémoire cherche à répondre à une problématique centrale qui réside dans la mesure de sa capacité à formuler une approche intégrée combinant l'assimilation du patrimoine grammatical arabe authentique et l'ouverture méthodologique consciente sur la linguistique moderne, et pour y parvenir, l'étude s'est appuyée sur la méthode descriptive et analytique pour observer et déconstruire son matériel linguistique, ainsi que sur la méthode historique pour retracer son parcours de formation et l'évolution de sa pensée, la recherche s'est articulée autour de deux chapitres, le premier étant consacré au cadre théorique retraçant les efforts linguistiques des savants du Machrek, du Maghreb et de l'Algérie, tandis que le second a été dédié à l'étude appliquée exhaustive des opinions de Touati aux niveaux de la phonétique, de la morphologie, de la syntaxe, de la sémantique, de la lexicographie, de la rhétorique et de l'interprétation du Saint Coran, l'étude a abouti à des résultats importants, notamment le succès du Dr Touati dans la simplification pédagogique des théories linguistiques complexes, sa défense acharnée de la théorie khalilienne moderne, et sa capacité exceptionnelle à réaliser une cohésion organique entre les sciences linguistiques instrumentales et les sciences religieuses à travers son interprétation linguistique et rhétorique du texte coranique, ce qui fait de lui un véritable fondateur d'une école linguistique algérienne contemporaine alliant authenticité et modernité.

## Abstract

This study aims to highlight the linguistic and philological efforts of Professor Dr. Touati Ben Touati, as he is considered one of the most prominent figures of contemporary linguistic thought in Algeria, as the thesis seeks to answer a central problematic regarding the extent of his ability to formulate an integrated approach that combines the assimilation of the authentic Arabic grammatical heritage with a conscious methodological openness to modern linguistics, and to achieve this, the study relied on the descriptive-analytical method to observe and deconstruct his linguistic material, and the historical method to trace his educational journey and the evolution of his thought, the research was organized into two chapters, the first dedicated to the theoretical framework tracing the linguistic efforts of scholars in the Mashreq, the Maghreb, and Algeria, while the second was devoted to the comprehensive applied study of Touati's views in phonetics, morphology, syntax, semantics, lexicography, rhetoric, and the interpretation of the Holy Quran, the study concluded with significant results, most notably Dr. Touati's success in pedagogically simplifying complex linguistic theories, his staunch defense of the modern Khalilite theory, and his exceptional ability to achieve an organic cohesion between instrumental linguistic sciences and religious sciences through his linguistic and rhetorical interpretation of the Quranic text, making him a true founder of a contemporary Algerian linguistic school that combines authenticity and modernity.

# مقدّمة

## مقدمة

الحمد لله الذي شرف هذه الأمة بالقرآن الكريم، وجعل لغته العربية وعاءً لكلامه المعجز، والصلاة والسلام على أفصح من نطق بالضاد، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تمثل الدراسة العلمية للجهود اللغوية في الجزائر استرجاعاً لوعي حضاري عميق، حيث لم تكن البيئة الجزائرية عبر قرونها المتعاقبة مجرد مستهلك للمنتج المعرفي المشرقي، بل كانت حلقة وصل وتطوير، ومركزاً من مراكز الإشعاع التي حافظت على هوية اللسان العربي في أصعب الظروف التاريخية، إن البحث في ملامح الفكر اللغوي عند علماء الجزائر المعاصرين، وتحديدا عند قامة علمية مثل الأستاذ الدكتور تواتي بن تواتي، يقتضي العودة إلى الجذور التاريخية التي شكلت شخصية هذا العالم وفكره .لقد نشأ الفكر اللغوي في الجزائر ضمن سياق الزوايا والكتاتيب والمدارس العتيقة التي كانت تمزج بين حفظ القرآن الكريم وتعلم قواعد اللغة العربية كأدوات ضرورية لفهم النص المقدس واستنباط الأحكام الشرعية، وتبرز مدينة الأغواط، الملقبة بـ "باب الصحراء"، كواحدة من هذه الحواضر العلمية التي أنجبت علماء جمعوا بين العلوم النقلية والعقلية، وهو ما نلمسه في مسيرة الدكتور تواتي الذي بدأ رحلته من الزاوية الرحمانية على يد الشيخ كويسي المبروك، ثم تشبع بروح الإصلاح في مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

وعليه، فقد حظيت اللغة العربية باهتمام بالغ من لدن العلماء والباحثين عبر مختلف العصور، فانبروا لخدمتها درساً وتحليلاً وتقعيداً، حفاظاً على صفائها وصوناً للنص القرآني من اللحن والتحريف، ولم تقتصر هذه الجهود العظيمة على علماء المشرق العربي الذين أرسوا الدعائم الأولى لعلوم النحو والصرف واللغة، بل امتدت لتشمل علماء المغرب العربي عموماً، وعلماء الجزائر على وجه الخصوص، فقد أسهم العقل الجزائري عبر مراحله التاريخية في إثراء المدونة اللغوية العربية، سواء من خلال حفظ التراث ومقاربته، أو عبر تقديم قراءات لسانية حديثة تواكب التطور المعرفي.

وفي العصر الحديث، برزت أسماء جزائرية وازنة أخذت على عاتقها مسؤولية تجديد البحث اللغوي وربطه بالدراسات اللسانية المعاصرة دون التنكر للأصالة، ومن بين هذه الأعلام البارزة يبرز اسم الأستاذ الدكتور "تواتي بن تواتي"، الذي يمثل علامة فارقة في الدرس اللغوي والنحوي في الجزائر؛ فقد استطاع من خلال مشروعه العلمي أن يمد جسوراً متينة بين التراث النحوي العربي الأصيل (خاصة المدرسة الخليلية) وبين

مناهج اللسانيات الحديثة (كالوظيفية والتوليدية)، مما يجعل من دراسة جهوده ضرورة ملحة لاستجلاء معالم المدرسة اللغوية الجزائرية المعاصرة.

انطلاقاً من القيمة العلمية للمشروع اللغوي واللساني الذي قدمه الأستاذ الدكتور التواتي بن التواتي، وسعياً لإبراز الإسهام الفعلي لعلماء الجزائر في الحقل اللساني، تتبلور الإشكالية المحورية لهذه المذكرة في التساؤل الجوهري الآتي: **إلى أي مدى استطاع العلامة التواتي بن التواتي، كأنموذج لعلماء الجزائر، أن يبلور مقاربة لغوية ولسانية متكاملة تجمع بين استيعاب التراث النحوي العربي والانفتاح المنهجي على اللسانيات الحديثة؟**

وتتفرع عن هذه الإشكالية المركزية جملة من التساؤلات الدقيقة:

– كيف أسس علماء المشرق العربي البنية التحتية للدرس اللغوي، وكيف تمدد هذا الجهد ليصل إلى علماء الجزائر؟

– ما هي المرجعيات العلمية، والأكاديمية، والبيئية التي أسهمت في تشكيل العقل اللساني للدكتور التواتي بن التواتي؟

– كيف تتوزع الخريطة التأليفية للدكتور التواتي في مجالات النحو، وأصوله، وفقه اللغة، واللسانيات؟

– ما هي خصائص المنهج الذي اعتمده في نقد وتوجيه المناهج اللسانية الغربية (البنيوية، التوليدية) في ضوء المدرسة الخليلية الحديثة؟

تتضاعف الأهمية التاريخية لهذا البحث عند النظر إلى المرحلة المفصلية التي عاصرها الدكتور تواتي؛ وهي مرحلة الانتقال من الاستعمار الفرنسي الذي حاول طمس اللغة العربية إلى مرحلة الاستقلال وبناء الجامعة الجزائرية، إن انخراط الدكتور تواتي في جيش التحرير الوطني الجزائري لم يكن مجرد فعل نضالي سياسي، بل كان تعبيراً عن إيمان عميق بأن استعادة الأرض لا تكتمل إلا باستعادة اللسان، ومن هنا، فإن جهوده اللغوية لا تنفصل عن هذا السياق "النضالي اللغوي" الذي يسعى لتأصيل الممارسة اللسانية في الجامعة الجزائرية وربطها بالجذور التراثية العميقة، إن القيمة العلمية لنموذج "تواتي بن تواتي" تكمن في قدرته على ردم الفجوة بين التعليم القرآني التقليدي وبين التحصيل الأكاديمي الحديث؛ فهو الذي حاز على شهادات عليا في الحقوق واللغة العربية، وجمع بين تخصصات النحو، والقراءات، والفقه،

واللسانيات، مما جعل منه "عالماً شمولياً" يعيد إلى الأذهان صورة العلماء الموسوعيين في العصور الإسلامية الزاهية.

وتتجلى الأهمية المعرفية لهذا البحث أيضاً في كونه يدرس شخصية ساهمت في بناء "النظرية الخليلية الحديثة" جنباً إلى جنب مع مؤسسها الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، إن هذه النظرية تمثل أهم محاولة عربية معاصرة لإيجاد "بديل لساني" يتجاوز التبعية للمدارس الغربية، من خلال إعادة قراءة عبقرية الخليل بن أحمد الفراهيدي برؤية رياضية ونسقية حديثة، والدكتور تواتي، من خلال موقعه في جامعة الأغواط وعضويته في مجمع اللغة العربية الجزائري واللجنة القطرية للذخيرة العربية، لم يكتفِ بالتنظير، بل عمل على "بسط" هذه المفاهيم للطلاب والباحثين، محولاً اللسانيات من علم نخبوي معقد إلى أداة عملية لفهم اللغة وتطوير تعليمها.

من بين الاسباب الدافعة لإختيار هذا الموضوع هو أنه ينبثق من قناعة علمية بضرورة تسليط الضوء على الأعلام الذين ساهموا في إثراء المكتبة الجزائرية والعربية بإنتاج غزير اتسم بالعمق والشمولية، وتتنوع دوافع هذا الاختيار لتشمل مستويات علمية، وبيداغوجية، ووطنية، ومنهجية تفرض نفسها على الباحث المعاصر.

ومن بين الدوافع الرئيسية لإختياره وكسبب اساسي يحفزنا على دراسة شخصية الدكتور تواتي هو "الإنتاج الموسوعي" الذي قل نظيره في الوقت الراهن، فنحن أمام عالم لم يتخصص في زاوية ضيقة، بل أنتج في الفقه المالكي موسوعة "المبسط" في خمسة مجلدات، وفي التفسير "الدر الثمين" الذي وصل إلى أربعين جزءاً في بعض طبعاته ومخطوطاته، وفي النحو "الأخفش الأوسط وآراؤه النحوية"، وفي اللسانيات "المدارس اللسانية"، هذا التعدد يجعل من دراسة جهوده اللغوية دراسة "عبر–مناهجية "، حيث تتيح للباحث رصد كيفية تداخل العلوم؛ فكيف يخدم النحو الفقه؟ وكيف تفسر اللسانيات الحديثة النص القرآني؟ إن البحث في هذا النموذج يقدم إجابات حية عن هذه التساؤلات المعرفية الكبرى.

كما أن اختيار الدكتور تواتي يأتي لسد ثغرة في الدراسات اللسانية التي غالباً ما تركز على المنظرين الأوائل للمدرسة الجزائرية (مثل الحاج صالح) وتغفل عن "المطبقين" والشارحين والمطورين لهذه المدرسة، والدكتور تواتي يمثل الحلقة التي نقلت النظرية الخليلية الحديثة من حيز التنظير الفلسفي والرياضي إلى حيز التطبيق التربوي والتفسيري، وهو ما يظهر في منهجه المبسط في عرض المدارس اللسانية.

كما يمتاز أسلوب الدكتور تواتي بـ "الوضوح البيداغوجي"، وهو دافع أساس لاختيار البحث؛ إذ إن الحاجة ماسة اليوم لنماذج علمية تتقن فن "تبسيط العلوم" دون الوقوع في فخ السطحية، لقد عمل الدكتور في التعليم لأكثر من 36 سنة، وهذا التراكم المعرفي التربوي انعكس على مؤلفاته التي أصبحت مرجعاً سهلاً للطلبة الجامعيين لفهم اللسانيات الوظيفية، والتوليدية، والخليلية، إن دراسة منهجه في التأليف توفر للباحثين أدوات منهجية لكيفية عرض المادة العلمية وتدريسها.

علاوة على ذلك، فإن تميزه في "توجيه القراءات" وربطها بالدرس النحوي يمثل مادة دسمة للدراسة، خاصة في كتابه "القراءات وأثرها في النحو العربي والفقه الإسلامي"، هذا الربط يمثل قمة النضج اللساني الذي يرى اللغة كنظام متكامل يؤثر في المعنى التشريعي والدلالي.

ويأتي اختيار هذا الموضوع في إطار "الوفاء العلمي" لأعلام الجزائر، وتحديداً منطقة الأغواط التي قدمت الكثير ولم تنل حظها الكافي من الدراسات الأكاديمية المقارنة، وإن توثيق جهود الدكتور تواتي هو توثيق لمرحلة هامة من تاريخ الجامعة الجزائرية وتطور الدرس اللغوي فيها، كما أن انخماسه في مشاريع قومية مثل "الذخيرة العربية" يعكس بعداً وطنياً وقومياً يجعل من دراسة جهوده أمراً ضرورياً لفهم دور الجزائر في المنظومة العلمية العربية.

ويهدف هذا البحث إلى تحقيق رؤية نقدية وتحليلية شاملة للجهود اللغوية عند الدكتور تواتي بن تواتي، متجاوزاً مجرد الوصف إلى التحقيق والتركيب. ويمكن حصر في مايلي:

- تتبع كيفية انتقال المفاهيم اللسانية الغربية إلى الفكر اللغوي عند الدكتور تواتي، وتقييم مدى توفيقه في "توطين" هذه المفاهيم بما يتناسب مع خصوصية اللغة العربية.
- تحليل الأسس التي قامت عليها قراءته للنظرية الخليلية الحديثة، وكيف استطاع أن يوظف مفاهيم "المثال" و"الاستقامة" و"العامل" في دراساته النحوية والتفسيرية.
- الكشف عن ملامح التجديد في دراساته للنحو العربي، وتحديداً في تناوله لشخصية "الأخفش الأوسط" وآرائه التي مهدت لخروج النحو من الدائرة المعيارية الضيقة إلى آفاق أرحب.
- إبراز القيمة المضافة لتوظيف "التحليل اللغوي" في التفسير القرآني من خلال موسوعته "الدر الثمين"، وكيف ساهم هذا التوجه في حماية النص من التأويلات البعيدة عن لسان العرب.

- دراسة "الأثر النحوي في الفقه" عند الدكتور تواتي، وتبيان كيف يمكن للاختلاف في القراءة أو الإعراب أن يؤسس لاختلاف في الحكم الفقهي، وهو ما يجسد حيوية اللغة في التشريع الإسلامي.
- تحليل العلاقة بين "المصطلح الفقهي" و"المصطلح النحوي" في فكره، وهو موضوع كتابه المخطوط الذي يسعى البحث لاستجلاء بعض ملامحه.
- تقديم بيبليوغرافيا شاملة ومصنفة لآثاره العلمية، مع وصف دقيق لمحتواها وأهميتها في سياق الدرس اللغوي المعاصر.
- تقييم أثره في الأجيال الجامعية من خلال المذكرات والرسائل التي أشرف عليها، ومدى استمرارية مدرسته في جامعة الأغواط وغيرها من الجامعات الجزائرية.
- المساهمة في وضع "معجم لغوي" لأبرز المصطلحات التي تداولها الدكتور في كتبه، ليكون دليلاً للباحثين في فكره.

إن الوصول إلى هذه الأهداف سيمكّن من تقديم صورة متكاملة عن "المشروع اللغوي" للتواتي بن تواتي، بوصفه مشروعاً يسعى لإثبات أن اللغة العربية تمتلك من الأدوات الذاتية ما يجعلها قادرة على مواجهة تحديات العولمة اللسانية.

أما بخصوص المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها فتتجلى في مجموعة من المصادر منها الهامة والرئيسية والتي جاءت كالتالي:

1- أهم مصدر هو محاضرات في أصول النحو التواتي بن تواتي الخصائص اللغوية والنحومية للهجة بن تميم التواتي بن تواتي المدارس اللسانية في العصر الحديث، ومناهجها في البحث التواتي بن تواتي المصطلحات بين الفقهاء والنحاة لتواتي بن تواتي كتاب الجزائريون ولغاتهم للإبراهيمي في اللهجات العربية لأنيس إبراهيم أصول النحو الحلواني كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي وغيرها من المصادر والمراجع المختلفة التي لها علاقة مباشرة وغير مباشرة إستأنسنا بها خلال إنجازنا لهذا البحث، وبالنسبة للعلماء الذين ساهموا في تكوين تواتي بن تواتي فيعود الفضل لشيوع وعلماء الجزائر على مدار الحقب نذكر منهم الشيخ "كويسي مبروك " "عالم محمود" وغيرهم بإضافة إلى علماء " جمعية علماء المسلمين"

وهو ما إنعكس على اهتمامه بالدراسات اللغوية و اللسانية على التراث العلمي، ولقد اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، حيث يعد هذا المنهج العمود الفقري للدراسة، حيث يتم من خلاله رصد المادة اللغوية في مؤلفات الدكتور تواتي، ووصفها وصفا دقيقا، ثم البدء في تحليلها وتفكيك عناصرها، فعند تناول كتابه "المدارس اللسانية"، لا يكتفي بالبحث بسرد ما ورد فيه، بل يحلل "لماذا" اختار الدكتور هذه المدارس دون غيرها؟ وكيف صاغ تعريفاتها؟ وما هي النبرة النقدية التي تبناها تجاه كل مدرسة؟، كما يطبق هذا المنهج على "تفسيره اللغوي" لاستخراج الآليات التي اتبعها في شرح المفردات والأساليب القرآنية، كما تم الإستعانة بالمنهج التاريخي في تتبع مراحل تكوين الدكتور تواتي، وربط نتاجه العلمي بـ السياق الزمكاني، فدراسة آرائه النحوية تختلف عندما ترتبط بمرحلة تحصيله للماجستير عما هي عليه في مرحلة تدريسه الجامعي المتأخرة، كما يساعد هذا المنهج في فهم أثر "الثورة التحريرية" و"جمعية العلماء" في صياغة مواقفه الصلبة تجاه الهوية واللغة، وكيف تطور اهتمامه باللسانيات الحديثة استجابة لمتطلبات الجامعة الجزائرية في السبعينيات و الثمانينيات، واخترنا لدراسة الموضوع خطها بنيانها على فصلين فصل نظري وفصل تطبيقي تسبقها مقدمة وتتلوهما خاتمة وجاءت على النحو التالي:

الفصل النظري: تحدثنا فيه عن الجهود اللغوية عند علماء العربية وينقسم إلى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : جاء فيه جهود علماء العربية القدامى في المشرق العربي

المبحث الثاني : فقد تناول جهود علماء العربية القدامى في المغرب العربي

المبحث الثالث : تحدثنا فيه عن الجهود اللغوية لعلماء الجزائر (قديما/ حديثا)

أما الفصل التطبيقي : تناولنا فيه جهود التواتي بن تواتي اللغوية وفيه ثمانية مباحث جاءت كالتالي :

المبحث الأول : جهود تواتي بن تواتي الصوتية

المبحث الثاني : جهود تواتي بن تواتي الصرفية

المبحث الثالث : جهود تواتي بن تواتي النحوية

المبحث الرابع: جهود تواتي بن تواتي الدلالية والمعجمية

المبحث الخامس: جهود تواتي بن تواتي البلاغية

المبحث السادس: جهود تواتي بن تواتي في اللسانيات وفقه اللغة

المبحث السابع: جهود تواتي بن تواتي في تفسير القرآن الكريم وعلومه

المبحث الثامن: الدراسات التي أقيمت حوله (كتب /مقالات/ مؤتمرات)

وختمنا بحثنا بخاتمة تضمنت عرض مختصر لآراء مختلفة المتعلقة بموضوع البحث والنتائج المستخلصة و المستنبطة منها وبعض الملاحظات المسجلة والتوصيات والنصائح التي ينصح بها، أما عن الصعوبات التي واجهتها خلال إنجازنا لهذا البحث فتمثلت في تنوع المصادر والمراجع مما صعب علينا التدقيق في اختيار المعلومة المرجوة والتي تناسب المطلوب منا وغيرها من الصعوبات ...الخ ولكن بعون الله نرجو أن نكون قد استوفينا كل ما طلب منا انجازه، وفي الأخير: نتقدم بالشكر الجزيل لأستاذنا الفاضل الدكتور قدور كحالة على مرافقته لنا طيلة إنجازنا لهذا العمل العلمي ونصائحه القيمية، ولكل من أعاننا من بعيد أو قريب في إتمام هذا البحث وآخر دعوانا أني الحمد لله رب العالمين.

# مدخل: التّعريف بالدّكتور

# العلاّمة "التّواتي بن التّواتي"

## مدخل: تعريف بالعلامة التواتي بن التواتي

### 1. النشأة الدينية والوطنية والتكوين الأكاديمي:

ولد الأستاذ الدكتور "التواتي بن التواتي" سنة 1943م بمدينة الأغواط في كنف أسرة متشبعة بقيم "الزاوية الرحمانية"، حفظ القرآن الكريم مبكراً على يد مشايخ المنطقة، ونهل من علوم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التحق بصفوف جيش التحرير الوطني سنة 1960، وبعد الاستقلال، زاوج بين التكوين المسجدي الأصيل (حيث درس الفقه والأصول على يد الشيخ أبي بكر الحاج عيسى) والتكوين الأكاديمي الجامعي؛ فنال ليسانس في الحقوق، وليسانس في اللغة العربية، ثم توج مساره بماجستير في "النحو العربي وأصوله" بتقدير مشرف جداً، تلتها دكتوراه دولة في "القراءات وأثرها في النحو العربي والفقه الإسلامي" بتقدير مشرف جداً، ليجمع بذلك بين علوم الشريعة وعلوم الآلة[1].

### 2. المسار المهني والمناصب العلميّة:

يمتلك الدكتور التواتي بن التواتي رصيداً مهنياً حافلاً بالعطاء التربوي والأكاديمي، حيث كرس أكثر من ثلاثة عقود ونصف من حياته للتعليم، تدرج في أسلاك التدريس من الأطوار الأولى وصولاً إلى التعليم العالي، حيث استقر أستاذاً لامعاً بجامعة "عمار ثليجي" بالأغواط لأكثر من 14 عاماً، في هذه الجامعة، أسهم بشكل جذري في تأسيس تقاليد بحثية رصينة في قسم اللغة العربية، وأشرف على عشرات رسائل الماجستير والدكتوراه التي أثرت المكتبة الجامعية الجزائرية، لم يقتصر نشاطه على المدرجات الجامعية، بل تقلد مناصب علمية دقيقة تعكس مكانته المرموقة؛ إذ تم اختياره عضواً فاعلاً في "اللجنة القطرية لمشروع الذخيرة العربية" التابع لجامعة الدول العربية، وهو مشروع استراتيجي يهدف إلى رقمنة وحفظ التراث العربي. كما يشغل عضوية هيئة التحرير في مجلة "مجمع اللغة العربية الجزائري"، مما يضعه في قلب الحراك اللغوي المؤسساتي في البلاد، وإلى جانب ذلك، لم يتخلَّ عن دوره كعالم دين موجه، حيث استمر في إلقاء الدروس والمحاضرات الفقهية واللغوية بمسجد الولاية، جامعاً بين الأكاديمية الصارمة والوعظ الجماهيري[2].

---

[1]– عطا الله جوال، "ترجمة اللغوي والمفسر الدكتور التواتي بن التواتي الجزائري، المكتبة الجزائرية الشاملة ،مقال منشور بتاريخ 9 سبتمبر 2017.

[2]– عده فلاحي، "العلامة التواتي بن التواتي: لا فرق بين المذهب المالكي والمذهب الإباضي، صحيفة صوت الأحرار ،الجزائر، 18 أبريل، 2009.

**3. الإنتاج العلميّ والمؤلّفات اللّغويّة:**

تتميز المدونة التأليفية للدكتور التواتي بالغزارة والعمق، حيث لم يترك باباً من أبواب التراث اللغوي أو اللسانيات المعاصرة إلا وولجه بوعي الباحث المتمكنK ويمكن تقسيم إنتاجه اللغوي في فقرات مترابطة تعكس تنوع اهتماماته:

**-في مجال الدّراسات النّحويّة وعلم أصول النّحو:**

أولى الدكتور التواتي اهتماماً كبيراً بأصول النحو والمدارس النحوية القديمة، فقد أصدر كتابه المرجعي "الأخفش الأوسط وآراؤه النحوية"، وفيه أعاد الاعتبار لهذه الشخصية المحورية التي مثلت حلقة الوصل بين سيبويه والأجيال اللاحقة، كما ألف "أصول النحو العربي من خلال معاني القرآن للأخفش"، وهو بحث عميق في كيفية استنباط القاعدة النحوية من النص القرآني، وإلى جانب ذلك، وضع كتاب "المصطلحات بين الفقهاء والنحاة" الذي يبرز تداخله المعرفي بين الفقه واللغة، وكتاب "المدارس النحوية"، و"محاضرات في أصول النحو"، وهي مؤلفات سدت فراغاً كبيراً في المكتبة الجامعية الجزائرية من حيث تبسيط المادة التراثية للطلاب المحدثين.

**-في مجال الدّراسات التّقاطعيّة بين القراءات واللّغة:**

استثمر الدكتور تخصصه الدقيق ليخرج تحفاً علمية تربط بين الصوتيات، وتوجيه الدلالة، والقراءات القرآنية، فألف سفره الضخم "معاني القراءات عند الأخفش الأوسط وتوجيهها النحوي" والذي يقع في 12 جزءاً، وهو موسوعة حقيقية ترصد الاختلافات الصوتية والإعرابية وتوجيهاتها، كما طبع أطروحته المهمة "القراءات القرآنية وأثرها في النحو العربي والفقه الإسلامي"، مبيناً فيها كيف كان القراء هم صناع المعجم والنحو الأوائل.

**-في مجال اللّسانيّات الحديثة وفقه اللّغة:**

لم ينغلق التواتي على التراث، بل اقتحم ميدان اللسانيات بقوة لإرساء وعي نقدي لدى الطالب الجزائري، فألف كتابه الذائع الصيت "مفاهيم في علم اللسان أو ما يسمى باللسانيات الحديثة"، وكتابه المحوري "المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث"، والذي خصص فيه فصولاً دقيقة لشرح المدرسة الوظيفية الاستغراقية، والمدرسة التوليدية التحويلية (لتشومسكي)، ليختتمه بإبراز تفوق "المدرسة

الخليلية الحديثة"، كما اهتم بالدراسات اللهجية فألف رسالة في "الخصائص اللغوية والنحوية للهجة بني تميم[3]."

## 4. تحقيق التّراث اللّغويّ المخطوط وإخراجه للباحثين:

لم يكتفِ التواتي بن التواتي بالدراسات الوصفية والتحليلية للمدونة اللغوية، بل أسهم بفعالية في نفض الغبار عن المخطوطات التراثية، إيماناً منه بأن أي تجديد لساني يجب أن ينطلق من نصوص محققة تحقيقاً علمياً رصيناً، وقد برزت جهوده في مجال "التحقيق" من خلال اعتنائه بمؤلفات نحوية وقرآنية نادرة، حيث عمل على مقابلتها، تخريج شواهدها، وضبط هوامشها بمنهجية علمية صارمة، هذا الجانب الميداني من عمله يؤكد على صفته كـ "عالم محقق"، يسعى لرفد المكتبة العربية بالمصادر الأولية التي تشكل المادة الخام لأي دراسة لسانية أو نحوية معاصرة[4].

## 5. منهجه في مقاربة التراث اللساني:

يتسم المنهج اللساني للدكتور التواتي بن التواتي بالاعتدال والروح النقدية الواعية؛ فهو لا يرفض الوافد الغربي بالكلية، ولا يقبله بسذاجة، ويعتمد منهجه على أسس واضحة يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

**- الرفض القاطع للانسلاخ اللغوي:**

انتقد التواتي بشدة بعض الباحثين العرب الذين انبهروا بالمدارس اللسانية الغربية (كالْبِنْيَوِيَّةِ وغيرها) وحاولوا إسقاط قواعدها الجاهزة وإجراءاتها الآلية على اللغة العربية إسقاطاً تعسفياً دون مراعاة لخصوصيتها المنبثقة من كونها لغة القرآن، واعتبر أن دعوات بعض الحداثيين لتقسيم النحو إلى "قديم وجديد" وإلغاء البناء التراثي هي دعوات قاصرة تتجاهل عبقرية العقل اللغوي العربي.

---

[3]- التواتي بن التواتي، المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث ،الجزائر: دار الوعي للنشر والتوزيع، 2008، 5-9. (وكذلك قائمة مؤلفاته المعتمدة في السيرة.

[4]- يحياوي محمد، "جهود علماء الجزائر في تحقيق التراث اللغوي: التواتي بن التواتي أنموذجاً"، مجلة الممارسات اللغوية 5، عدد 2، 2019، 112-115.

- **التّطعيم المنهجيّ والانفتاح الواعي:**

يرى التواتي أن اللسانيات العربية المعاصرة يجب أن تتطور عبر "التطعيم"، أي الاستفادة من المفاهيم اللسانية الحديثة والمناهج الإجرائية (كالصوتيات الفيزيائية أو الوصف الدقيق)، بشرط أن يتم دمجها في نسق يتوافق مع طبيعة اللسان العربي، باعتبار النحو العربي قوانين مستنبطة من مدونة حية ومقدسة.

- **الانتصار للمدرسة الخليلية الحديثة:**

تجلى منهجه بشكل واضح في تبنيه لـ "المدرسة الخليلية الحديثة" (التي أرسى دعائمها عبد الرحمن الحاج صالح)، حيث يرى التواتي أن التنظير الخليلي الأصيل يمتلك من الشمولية والمرونة ما يجعله يتفوق على أحدث النظريات اللسانية الغربية، وأن العرب القدامى قد سبقوا الغرب في كثير من المباحث الصوتية، والدلالية، والتداولية.

- **المنهجية التّعليميّة المبسطة:**

على مستوى التأليف، تميز منهجه في عرض اللسانيات بالبساطة والبعد عن التعقيد المصطلحي المفرط. فقد كان ينطلق في كتاباته من هاجس تعليمي ("ديدكتيكي") يهدف إلى تذليل الصعاب أمام طلبة الجامعة، مفككاً المصطلحات الغربية المعقدة ومورداً ما يقابلها أو يتفوق عليها في التراث اللغوي العربي[5].

## 6.البعد التعليمي (الديداكتيكي) في مشروعه اللساني

إن الممارسات التعليمية التي مارسها الدكتور التواتي بن التواتي لأكثر من ستة وثلاثين عاماً في مختلف الأطوار التعليمية، انعكست بشكل جلي على كتاباته اللسانية، فلم يكن يكتب من برج عاجي مغلق، بل كان مسكوناً بـ "هاجس التبليغ" وتذليل الصعاب المعرفية أمام الطالب الجامعي الجزائري، ويظهر هذا البعد الديداكتيكي بوضوح في حرصه الشديد على تبسيط المصطلحات اللسانية الغربية وتفكيكها، ثم إيجاد المقابل العربي الأنسب لها من عمق التراث النحوي، مبتعداً عن الغموض والتعقيد المصطلحي الذي وقع فيه كثير من المنظرين، هذا المنهج التعليمي القائم على "التدرج والتبسيط" جعل من مؤلفاته مقررات أساسية ومراجع

[5]– بوحملة الزهرة وعبيزة عائشة، "اللسانيات الحديثة ومقاربة التراث اللغوي العربي عند التواتي بن التواتي من خلال كتاب المدارس اللسانية"، مجلة السياق، المجلد 9، العدد 2 ،2024، 46-48.

لا غنى عنها للباحثين المبتدئين لفهم النظريات اللسانية المعاصرة (كالتحويلية والوظيفية) واستيعاب تطبيقاتها دون الشعور بالغربة المعرفية[6].

### 7. جهوده في العناية بالمصطلح اللساني وضبط المفاهيم

أدرك الدكتور التواتي بن التواتي مبكراً أن فوضى المصطلحات هي من أكبر العوائق التي تواجه استيعاب اللسانيات الحديثة في العالم العربي. لذلك، خصص حيزاً هاماً من جهده العلمي لضبط "المصطلح اللساني"، محاولاً إيجاد المقابلات الدقيقة للمفاهيم الغربية من داخل المدونة التراثية العربية، وقد تجلى ذلك في حفرياته المعجمية التي قارنت بين لغة الفقهاء ولغة النحاة، واستنباطه لمصطلحات تأصيلية تفي بالغرض العلمي وتجنب الباحثين الانزلاق في التغريب اللغوي، إن مقاربته المصطلحية لا تقف عند حدود الترجمة الآلية، بل تتجاوزها إلى "التعريب المفهومي" الذي يراعي خصوصية البنية الصرفية والدلالية للغة العربية[7].

### 8. جهوده المؤسساتية في الدفاع عن الهوية اللغوية والتعريب

لم يقف الإسهام اللغوي للدكتور التواتي عند حدود التنظير الأكاديمي، بل تجاوزه إلى النضال المؤسساتي للحفاظ على صفاء اللغة العربية في الجزائر والدفاع عنها في وجه التحديات الثقافية ودعوات الانسلاخ اللغوي، وتجلى ذلك من خلال عضويته الفاعلة في "مجمع اللغة العربية الجزائري" ومساهماته المتعددة في مجلته، حيث يؤسس في خطابه لفكرة أن اللغة ليست مجرد أداة تواصل فحسب، بل هي وعاء يحمل "نفسية الأمة" وهويتها الدينية والوطنية، وعبر عضويته في "اللجنة القطرية لمشروع الذخيرة العربية"، ساهم في الجهود الإقليمية لرقمنة التراث اللغوي العربي وحفظه، مؤكداً في محافله العلمية على ضرورة الانطلاق من الجذور والأصول الأولى عند أي محاولة لتطوير اللغة العربية أو تحديث مناهج تعليمها، رافضاً الإسقاط التعسفي لقوالب اللغات اللاتينية على اللسان العربي لاختلاف الخصائص والبنى[8].

---

[6]– بوحملة الزهرة، وعبيزة عائشة، مرجع سابق، ص 43–45.

[7]– التواتي بن التواتي، المصطلحات بين الفقهاء والنحاة، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، 25–28.

[8]– التواتي بن التواتي، "اختلاف لهجات العرب في الهمز والتبيين وعلاقتها بالقراءات"، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، المجلد 6، العدد 1 ،2010، 51–53.

### 9. التداخل المعرفي بين العلوم الشرعية واللغوية في فكره

يمثل التواتي بن التواتي نموذجاً للعالم الموسوعي الذي يرفض الفصل التعسفي بين علوم الآلة (اللغة والنحو) وعلوم الغاية (الفقه والتفسير)، فقد تجلى في مشروعه العلمي تداخل معرفي عميق يربط القاعدة النحوية بالنص القرآني وتوجيهاته الفقهية، يتضح هذا المنهج التكاملي بشكل جلي في دراسته الدقيقة للمصطلحات المشتركة بين النحاة والفقهاء، حيث أثبت أن تطور الدلالة اللغوية لا يمكن فصله عن الاستنباط الفقهي، وباعتباره متخصصاً في القراءات القرآنية، استثمر هذا العلم لبيان أثره المباشر في توجيه القاعدة النحوية وتوسيع آفاقها، مؤكداً أن القرآن الكريم وقراءاته المتواترة والشاذة هما المعين الأول الذي استقى منه النحاة الأوائل قواعدهم، وأن فهم اللسانيات العربية يتطلب إلماماً وثيقاً بعلوم الشريعة[9].

### 10. العناية بالدراسات اللهجية والدرس الصوتي التراثي

لم يقتصر اهتمام العلامة التواتي بن التواتي على تقييد القواعد النحوية للغة العربية الفصحى فحسب، بل امتدت عنايته لتشمل الدراسات اللهجية القديمة، إيماناً منه بأن فهم التطور اللساني للغة يتطلب حفريات عميقة في لهجات القبائل العربية، وقد تجسد ذلك في تتبعه الدقيق للخصائص اللغوية والنحوية للهجات العربية الأصيلة، مثل لهجة بني تميم، حيث وظف المنهج الوصفي التحليلي لاستخلاص الفروق الصوتية والدلالية بينها وبين لغة قريش، وعلاوة على ذلك، أبرز التواتي في أبحاثه الريادة العربية في الدرس الصوتي، مثبتاً أن ما تتباهى به المدارس اللسانية الغربية الحديثة في علم الأصوات ، قد أرسى دعائمه علماء التجويد والقراءات العرب قديماً بدقة علمية متناهية في وصف مخارج الحروف وصفاتها[10].

### 11. الأثر العلمي وجهوده في تأطير الباحثين وتخريج الكفاءات

لم تقتصر جهود الدكتور التواتي بن التواتي على التأليف والتنظير، بل امتد أثره العميق إلى بناء العقول وتأسيس مدرسة علمية حقيقية بجامعة "عمار ثليجي" بالأغواط والجامعات الجزائرية الأخرى، فقد أشرف طيلة مسيرته الأكاديمية على عشرات الرسائل والأطاريح الجامعية (ماجستير ودكتوراه)، حيث عُرف بصرامته المنهجية ودقته العلمية في توجيه الطلبة، وقد ساهم من خلال هذا التأطير المستمر في تخريج جيل من الباحثين والأكاديميين المتخصصين في الدراسات اللغوية والقرآنية، الذين حملوا لواء مشروعه العلمي وواصلوا البحث في تقاطعات التراث النحوي مع اللسانيات المعاصرة. هذا الجهد البيداغوجي

[9]– التواتي بن التواتي، المصطلحات بين الفقهاء والنحاة، مرجع سابق، ص15–18.

[10] – التواتي بن التواتي، الخصائص اللغوية والنحوية للهجة بني تميم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2005، 22–25.

والتأطيري جعل منه "أستاذ الأجيال" الذي لا يُكتفى بقراءة كتبه، بل يُستلهم منهجه في البحث وتقصي الحقائق العلمية[11].

## 12. حضوره الفاعل في الملتقيات العلمية وتنشيط الحراك الأكاديمي

يمثل الدكتور التواتي بن التواتي رقماً صعباً في معادلة الحراك الثقافي والأكاديمي في الجزائر. فلم تقتصر إسهاماته على الفضاء الجامعي المغلق، بل كان دائم الحضور في الملتقيات الوطنية والدولية، والندوات الفكرية التي تقام حول اللغة العربية واللسانيات، من خلال أوراقه البحثية ومداخلاته القيمة في هذه المحافل، ساهم في توجيه بوصلة البحث اللغوي، منافحاً عن المدرسة الخليلية الحديثة ومقارعاً الحجة بالحجة في النقاشات الأكاديمية، هذا الحضور الكثيف جعله قطباً علمياً يلتف حوله الباحثون، ومنبراً لتصحيح المفاهيم وتجديد الطرح اللساني بما يخدم واقع اللغة العربية ومستقبلها[12].

## 13. موقفه من قضية التعريب والأمن اللغوي في الجزائر

يشكل "الأمن اللغوي" وقضية "التعريب" محوراً مركزياً في فكر الدكتور التواتي بن التواتي، ففي سياق جزائري شهد تجاذبات لغوية وإيديولوجية بعد الاستقلال، انبرى التواتي مدافعاً بشراسة عن مكانة اللغة العربية، ليس فقط بصفتها لغة شعائر دينية، بل باعتبارها لغة علم وحضارة وإدارة، قادرة على استيعاب المصطلحات العلمية الحديثة، وقد انتقد مراراً حالة التردد في تطبيق قوانين التعريب الشامل في الإدارة والجامعة الجزائرية، معتبراً أن التمكين للغة العربية هو حماية للسيادة الوطنية والهوية الثقافية من الاستلاب. وتجلت مساهمته العملية في هذا المجال من خلال انخراطه في لجان وضع المصطلحات العلمية وتعريبها، داعياً إلى استثمار آليات التوليد اللغوي (كالاشتقاق والنحت) التي يزخر بها التراث العربي لمواكبة التطور التكنولوجي[13].

---

[11]– جامعة عمار ثليجي بالأغواط، كتاب تكريم العلامة التواتي بن التواتي: مسيرة عطاء علمي، منشورات كلية الآداب واللغات، الأغواط، 2018، 12–15

[12]– جامعة قاصدي مرباح ورقلة، أعمال الملتقى الوطني حول جهود اللغويين الجزائريين، منشورات كلية الآداب، ورقلة، 2015، 40–42.

[13]– التواتي بن التواتي، "اللغة العربية وتحديات العصر: بين التنظير والتطبيق"، مجلة مجمع اللغة العربية الجزائري، المجلد 4، العدد 2 ،2008، 34–37.

## 14. التلقي النقدي لمشروعه اللساني في الدراسات الجامعية

إن غزارة الإنتاج العلمي للدكتور التواتي بن التواتي وعمق طروحاته اللسانية جعلا من مشروعه مادة خصبة للدراسة والبحث، فقد تحول من باحث منقب في التراث إلى "موضوع" للبحث الأكاديمي، حيث أُنجزت حول جهوده اللغوية، والنحوية، والأصولية العديد من المذكرات والرسائل الجامعية في مختلف جامعات الوطن، هذا التلقي النقدي الإيجابي من قبل الباحثين المعاصرين يعكس القيمة العلمية لمؤلفاته، ويؤكد على نجاحه في تأسيس خطاب لساني جزائري أصيل ومؤثر، يستحق التوثيق والدراسة المستفيضة، وهو ما تسعى هذه المذكرة إلى الإسهام فيه عبر تفكيك معالم خطابه اللغوي[14].

[14]– بن جلول أحمد، "قراءة في المشروع اللساني للتواتي بن التواتي"، مجلة دراسات في اللغة والأدب 12، عدد 1 ،2021، 88–90.

# الفصل الأول: الإطار النظري –الجهود اللغوية عند علماء العربية–

**تمهيد:**

تعد اللغة العربية الركيزة الأساسية التي قامت عليها الحضارة الإسلامية، ولم يكن البحث اللغوي عند العرب مجرد ترف فكري أو ظاهرة عابرة، بل كان استجابة حتمية لضرورات دينية وحضارية بالغة التعقيد، إن الوعي اللغوي بدأ يتشكل فعلياً مع نزول القرآن الكريم، الذي أحدث ثورة في بنية اللسان العربي، فدفع العلماء للبحث في أسرار هذا البيان، لقد انتقل الدرس اللغوي من مرحلة "السليقة" الفطرية التي كان يتمتع بها العربي في جاهليته، إلى مرحلة "التقنين والتدوين" نتيجة تداخل الألسن بعد الفتوحات الإسلامية وظهور "اللحن" الذي هدد سلامة النص المقدّس، ومن هنا، انطلقت الجهود اللغوية في المشرق العربي لتبني صرحاً علمياً متكاملاً، شمل النحو والصرف، والمعجم، وفقه اللغة، والبلاغة، مستندة إلى مناهج استقرائية دقيقة جمعت بين السماع من البادية والقياس العقلي المنطقي.

## المطلب الأول: مخاض التأسيس في عصر صدر الإسلام (البدايات والإرهاصات)

### 1. ظاهرة "اللحن" كأزمة هوية وضرورة دينية

لم يكن "اللحن" في صدر الإسلام مجرد خطأ عارض في النطق أو زلة لسان، بل كان زلزالاً هدد السلم المعرفي والعقدي للأمة الناشئة، فمع الفتوحات واتساع رقعة الدولة، دخلت الأعاجم في دين الله حاملين معهم عاداتهم النطقية وتراكيبهم اللغوية الهجينة، مما أدى إلى تسلل العجمة إلى اللسان العربي "السليقي"، هذا الانحراف اللغوي اعتُبر في تلك المرحلة "فساداً في الفطرة"؛ لأن اللغة كانت هي الوعاء الحامل للوحي، وأي خلل في الوعاء سيؤدي بالضرورة إلى تحريف المحتوى المعرفي والتشريعي.

إن الحادثة الشهيرة التي سمع فيها أعرابي قارئاً يلحن في آية (أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولِهِ) بجر كلمة "رسولِهِ"، كانت الصدمة التي نبهت السلطة السياسية والعلماء إلى أن اللحن انتقل من كونه ظاهرة فردية إلى "أزمة هوية" تستوجب التدخل، لقد أدرك الإمام علي بن أبي طالب بعبقريته أن حماية الدين تمر حتماً عبر حماية اللغة، مما جعل النحو في بدايته علماً "دفاعياً" بامتياز، يهدف إلى صون النص القرآني من التأويلات الخاطئة الناتجة عن خلل الإعراب[1].

[1]– محمد خير الحلواني، أصول النحو، دار الشرق، بيروت، ط1، 1987، ص 12.

## 2. أبو الأسود الدؤلي: من الضبط النقطي إلى الفلسفة القواعدية

يُمثل أبو الأسود الدؤلي حلقة الوصل التاريخية بين "اللغة الممارسة" و"اللغة المقننة"، لم يكتفِ الدؤلي بملاحظة اللحن، بل انتقل إلى مرحلة "الهندسة الصوتية" عبر ابتكاره لنقط الإعراب بالمداد الأحمر (النقطة فوق الحرف للفتحة، وتحته للكسرة، وبين يديه للضمة)، هذا الإنجاز يُعد أول محاولة في تاريخ العربية لفصل "الحركة" عن "الحرف" بصرياً، وهو ما يسمى في اللسانيات الحديثة بالوعي بـ "الفونيمات" الثانوية التي تغير الوظيفة النحوية للكلمة.

وعلى صعيد التنظير، كان لتقسيمه الكلم إلى (اسم وفعل وحرف) أثر بنيوي عميق؛ إذ وضع للعقل العربي أول "مبرد" لتحليل النص، ورغم محاولات بعض المستشرقين ربط هذا التقسيم بالمنطق الأرسطي، إلا أن واقع الحال يشير إلى أنه مستمد من استقراء واقعي لخصائص اللسان العربي وبنيته الثلاثية، لقد استطاع الدؤلي أن يحول اللغة من مادة هلامية تعتمد على الفطرة إلى مادة قابلة للتشريح العلمي، مما بوأه مكانة "المؤسس الأول" الذي وضع حجر الزاوية لكل ما جاء بعده من تدوين[1].

## 3. هندسة مخارج الحروف وأثرها في صون الترتيل

ارتبط الدرس الصوتي في هذه المرحلة المبكرة بالرغبة في الحفاظ على "الأداء القرآني" كما نزل على النبي ﷺ، بدأ الصحابة والتابعون بوصف دقيق لكيفية خروج الحرف العربي، وهو ما مهد الطريق لما عرف لاحقاً بـ "علم التجويد"، كان التركيز منصباً على التمييز بين الحروف المتشابهة في المخرج (مثل السين والصاد، أو التاء والطاء) لضمان عدم اختلاط المعاني عند القراءة، وهو جهد أرسى القواعد الأولى لما يسمى اليوم بـ "السمات المميزة" للحروف في اللسانيات الوصفية.

إن هذا الاهتمام بالجانب الأدائي لم يكن منفصلاً عن الجانب النحوي؛ بل كان يخدم غاية واحدة وهي "الاستقامة" في القول والفهم، لقد أدرك علماء هذه الفترة أن اللغة نظام متكامل، يبدأ من أصغر وحدة صوتية ليصل إلى بنية الجملة الكلية، وبذلك، وضعوا الأسس التي بنى عليها الخليل بن أحمد فراهيدي لاحقاً معجمه "العين" الذي رتبه بناءً على مخارج الحروف من الحلق وصولاً إلى الشفتين[2].

[1]– أبو العباس السيرافي، أخبار النحويين البصريين، تحقيق طه الحاجري، دار الاعتصام، القاهرة، ص 22.

[2]– غانم قدوري الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، دار عمار، ط1، عمان، 2003، ص 45.

## 4. دور "السياسة اللغوية" في توجيه فعل التأسيس

لا يمكن فهم جهود التأسيس اللغوي في صدر الإسلام بمعزل عن دور "الدولة" وسياستها في الحفاظ على اللسان العربي كأداة للإدارة والحكم والدين، فقد كان الخلفاء الراشدون يمثلون "الراعي الرسمي" للغة؛ فالإمام علي لم يضع المبادئ الأولى فحسب، بل أعطى الدفعة الشرعية لعملية التدوين، كان هناك وعي سياسي مبكر بأن وحدة اللغة هي الضمانة الكبرى لوحدة الأمة، وأن أي تشظي في اللسان سيؤدي إلى تشظي في الفهم السياسي والديني.

هذا التلاحم بين "السياسي" و"اللغوي" هو ما جعل القواعد النحوية تكتسب صفة "الإلزام" والقداسة في آن واحد، لقد تحول البحث اللغوي من مبادرات فردية إلى توجه عام ترعاه الدولة، مما سرّع من وتيرة نضج المصطلحات الأولى، وأسس لمرحلة جديدة من التدوين الرسمي الذي سيزدهر في العصرين الأموي والعباسي، حيث أصبحت العربية لغة العلم والسياسة العالمية[1].

## 5. ملامح المنهج الوصفي في الملاحظات اللغوية الأولى

تميزت الجهود اللغوية في هذه المرحلة بكونها "وصفية استقرائية" في جوهرها، حيث كان العلماء يراقبون أفواه الفصحاء من الأعراب ويستنبطون منها القوانين، لم يكن الهدف وضع قوانين قسرية على اللغة، بل كان الهدف هو "اكتشاف" القوانين الكامنة في اللسان العربي السليم، وهذه الروح الوصفية هي التي منحت النحو العربي واقعيته، حيث كان المعيار هو "السماع" و"الرواية" عن العرب الخلّص.

لقد اعتمد المنهج في صدر الإسلام على الملاحظة المباشرة للظواهر اللغوية (مثل الإعراب، الإدغام، والهمز)، ومحاولة إيجاد تعليلات أولية لهذه الظواهر، هذا التوجه الوصفي هو الذي أسس لمنهج "السماع" الذي أصبح لاحقاً أحد أهم أصول النحو العربي، مما جعل القاعدة النحوية خادمة للنص اللغوي وليست حاكمة عليه بالتعسف، وهو ما يبرز المرونة الكبيرة التي تمتع بها الفكر اللغوي العربي في بداياته[2].

[1]– تمام حسان، اللغة العربية: معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 2006، ص 18.

[2]– صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2004، ص 82.

### 6. أثر جمع القرآن الكريم في توحيد المعيار اللغوي

يعتبر جمع القرآن الكريم وتدوينه في عهد أبي بكر الصديق ثم عثمان بن عفان أضخم وأخطر جهد لغوي في تاريخ الإسلام، هذا التدوين فرض ضرورة توحيد "الرسم" (الكتابة)، وهو ما أدى بدوره إلى نشأة البحث في (علم الرسم العثماني)، لقد كان المصحف هو "النص المركزي" الذي توحدت حوله لهجات العرب، حيث نزل القرآن بلسان قريش وضم أفضل ما في لهجات العرب الأخرى، فصار هو "المعيار" الذي يقاس عليه الفصاحة.

وبسبب هذا التدوين، نشأت علوم اللغة العربية المختلفة (النحو، الصرف، المعجم) كخوادم لهذا النص المركزي، إن ثبات نص القرآن المكتوب وفر مادة علمية مستقرة للغويين للبحث والدراسة، مما جعل العلاقة بين اللغة العربية والنص القرآني علاقة "تلازمية وجودية"؛ فلولا القرآن لربما تشتت العربية إلى لهجات متباعدة كما حدث للغات اللاتينية، ولكن "الرسم العثماني" حفظ للغة وحدتها المعيارية[1].

## المطلب الثاني: العصر الأموي وتبلور المنهج الاستقرائي (مرحلة النضج الأولي)

### 1. نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر وثورة "الإعجام" التقنية

لم تعد الأدوات التي وضعها أبو الأسود الدؤلي (النقط الإعرابي) كافية لمواجهة زحف العجمة؛ فالمشكلة انتقلت من "ضبط الحركات" إلى "تمييز ذوات الحروف"، في هذا السياق، برزت جهود نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر اللذين أحدثا ثورة في نظام الكتابة العربية بوضع "نقط الإعجام"، هذا الجهد لم يكن إجرائياً بحتًا، بل كان استجابة لضرورة لسانية تهدف إلى منع "التصحيف" الذي قد يقلب المعنى تماماً (مثل التمييز بين حيز وخبز) .

إن وضع النقاط فوق الحروف وتحتها لتمييز المتشابهات الرسمية (كالباء والتاء والثاء) مثّل انتقالاً من "الذاكرة الشفاهية" التي تعتمد على السياق، إلى "الذاكرة البصرية المنضبطة"، لقد ساهم هذا النظام في جعل النص العربي نصاً "مكتفياً بذاته" لا يحتاج إلى قارئ يمتلك سليقة فطرية بالضرورة، مما سهل على الأعاجم والنابتة الجدد الانخراط في الثقافة العربية دون الوقوف في فخاخ الالتباس الخطي[2].

[1]– إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص 35.

[2]– ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، ج2، ص 32.

## 2. نشأة المدرسة البصرية: النزعة القياسية والصرامة المنهجية

شهد العصر الأموي ولادة "المدرسة البصرية" كأول مؤسسة علمية تُقنن اللغة. تميز المنهج البصري في هذه المرحلة المبكرة بـ "النزعة المنطقية"؛ حيث آمن علماء البصرة (مثل عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي) بأن اللغة نظام خاضع للقياس المطرد، كان هؤلاء العلماء يرفضون أي شذوذ لغوي حتى لو ورد في أشعار العرب إذا كان يخالف القواعد الكلية التي استنبطوها، وهو ما جعل النحو البصري نحواً "معيارياً" يهدف إلى تنقية اللغة من الشوائب.

لقد كان علماء البصرة يمثلون تيار "العقلنة اللغوية"؛ فهم أول من بحث في "العلة النحوية" وبدأوا يتساءلون عن أسباب الرفع والنصب، هذا التوجه حوّل الدرس اللغوي من مجرد "جمع للكلمات" إلى "بناء للنظريات"، وبسبب هذه الصرامة، وُضعت القوانين الأساسية التي تحكم الجملة العربية، مما حمى اللغة من التمييع والتحريف السياسي أو الاجتماعي الذي تفرضه حياة الحواضر الجديدة[1].

## 3. فلسفة "السماع" والرحلة في طلب اللغة (البادية كمختبر مرجعي)

أرسى علماء العصر الأموي أصلاً عظيماً من أصول النحو وهو "السماع"، ففي ظل فساد الألسنة في المدن (كالبصرة والكوفة)، قرر اللغويون أن "الحقيقة اللغوية" لا توجد إلا في خيام الأعراب الذين لم يختلطوا بالأعاجم، نشأت حركة "الرحلة في طلب اللغة"، حيث كان العلماء يخرجون إلى البوادي لتدوين اللغة من أفواه العرب الخلّص، لم تكن هذه الرحلات مجرد نزهة، بل كانت رحلات استكشافية توثيقية تخضع لشروط صارمة.

لقد حدد العلماء "خارطة الفصاحة"، فاستبعدوا القبائل التي جاورت الفرس أو الروم أو الحبشة، واعتمدوا قبائل وسط الجزيرة (تميم، قيس، أسد)، هذا المنهج "الميداني" جعل النحو العربي مرتبطاً بالواقع الحي للغة، وحوّل الأعرابي الفصيح إلى "سلطة مرجعية" لا تُرد، وبذلك، تشكلت المادة الخام التي سيعتمد عليها سيبويه والخليل في العصر الذي يليه، وهي مادة موثقة بالسند والسماع المباشر[2].

[1]– شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة، ط 7، ص 24–28.

[2]– رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 6، ص 320.

## 4. تدوين "الرسائل اللغوية" وبواكير الصناعة المعجمية

قبل أن تنضج فكرة "المعجم الشامل"، شهد العصر الأموي انتشار "المعاجم الموضوعية" أو الرسائل اللغوية المتخصصة، كان اللغوي يجمع كل مفردات مجال معين في رسالة واحدة (مثل: كتاب الإبل للأصمعي، كتاب المطر، كتاب خلق الإنسان)، هذه الرسائل كانت محاولة جادة لحصر الثروة اللفظية العربية قبل ضياعها، حيث تم تدوين آلاف المفردات النادرة مع شرح دلالاتها الدقيقة واستخداماتها الشعرية.

هذا التراكم المعرفي في الرسائل المتخصصة هو الذي مهد الطريق للانتقال من "المعجم الصغير" إلى "الموسوعة اللغوية"، لقد كانت هذه الرسائل هي "المختبر الدلالي" الذي فحص فيه العلماء الفروق اللغوية بين الكلمات، مما ساهم في ثراء التعبير العربي، وبسبب هذا الجهد التدويني، استطاع العرب الحفاظ على لغتهم من "الموت الدلالي" الذي أصاب لغات كثيرة فقدت مفرداتها نتيجة التطور الاجتماعي السريع[1].

## 5. " تعريب الدواوين" وأثره في وظيفية اللغة العربية

يعتبر قرار عبد الملك بن مروان بتعريب الدواوين (الإدارة الحكومية) في أواخر القرن الأول الهجري نقطة تحول تاريخية في الدرس اللغوي. فقد تحولت العربية من لغة "شعر وعقيدة" إلى لغة "إدارة وقانون وسياسة"، هذا التحول الوظيفي فرض على اللغويين ضرورة وضع مصطلحات دقيقة وتعريفات حاسمة للمعاني الإدارية، مما أخرج اللغة من حيز البادية الضيق إلى فضاء الدولة الواسع.

لقد استدعى التعريب تدوين القواعد وتسهيلها ليدرسها "الكُتّاب" والموظفون، مما أدى إلى ظهور طبقة "الكتاب اللغويين" الذين اهتموا بجماليات الأسلوب ودقته الإعرابية، هذا الجهد السياسي–اللغوي المشترك ساهم في استقرار المصطلحات النحوية والصرفية، حيث أصبحت اللغة العربية لغة "عالمية" قادرة على استيعاب النظم الإدارية المعقدة للدولة الأموية التي امتدت من حدود الصين إلى الأندلس[2].

[1]– حسين نصار، المعجم العربي: نشأته وتطوره، دار مصر للطباعة، القاهرة، ج1، ص 55–60.

[2]– سعيد الأفغاني، في أصول النحو، المكتب الإسلامي، بيروت، ص 42.

## 6. صراع "السليقة" و"الصناعة" وتولد المصطلح النحوي

في خضم هذا الطرح، يجب تسليط الضوء على الصراع الذي دار بين العرب الذين يتكلمون اللغة بـ "السليقة" (الفطرة) وبين العلماء الذين يحاولون تحويلها إلى "صناعة" (قواعد)، بدأ المصطلح النحوي يتولد من هذا الصراع؛ فظهرت كلمات مثل (الرفع، النصب، الفاعل، المفعول) كمفاهيم علمية لوصف الظواهر اللسانية، هذا العنوان يبحث في كيفية تحول "الفعل اللغوي" إلى "مفهوم علمي."

لقد بدأ العلماء يلاحظون أن هناك "نظاماً داخلياً" يحكم الكلام، فبدأوا في تسمية هذا النظام، فالفاعل ليس مجرد من قام بالفعل، بل هو "مركز إعرابي" يجب أن يأخذ حركة معينة، هذا الانتقال من "الممارسة العفوية" إلى "التجريد العلمي" هو أعظم إنجاز فكري للعصر الأموي، حيث وُضعت الأسماء التي ستظل مستخدمة في كتب النحو إلى يومنا هذا، مما يثبت عبقرية هؤلاء الرواد في التسمية والاصطلاح[1].

## 7. بواكير النقد اللغوي للشعر والاحتجاج بالحديث

شهد العصر الأموي بدايات "النقد اللغوي"؛ حيث بدأ العلماء يقيسون جودة الشعر ليس فقط بجماله، بل بسلامته الإعرابية، كما بدأت قضية "الاحتجاج بالحديث النبوي" تظهر كإشكالية: هل يجوز استباط القواعد من الحديث كما تستنبط من القرآن والشعر؟ هذه النقاشات المبكرة أسست لما يعرف بـ "أصول النحو"، ووضعت معايير "الفصاحة" و"البلاغة" التي سيبني عليها الجرجاني والسكاكي لاحقاً.

لقد كان علماء هذا العصر حراساً للجمال والمنطق في آن واحد، فكانوا يصححون للشعراء (كما فعل ابن أبي إسحق مع الفرزدق)، مما خلق نوعاً من "الرقابة اللغوية" التي حافظت على وحدة اللسان العربي في أرقى تجلياته الأدبية، هذا التلاحم بين النحو والنقد ساعد في نضج الذوق الأدبي العربي وجعله ذوقاً مبنياً على القواعد العلمية والجمالية معاً[2].

[1]– عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، ص 48.

[2]– محمد عيد، سماع اللغة عند العرب، عالم الكتب، القاهرة، ص 105.

## المطلب الثالث: العصر العباسي والنهضة اللغوية الشاملة (مرحلة النضج والتدوين )

### 1. الخليل بن أحمد الفراهيدي ومعجزة "كتاب العين" (ثورة النظام المعجمي)

يُعد الخليل بن أحمد الفراهيدي الشخصية الأكثر عبقرية في تاريخ الفكر اللغوي العربي؛ فهو الذي نقل المعجم من "الرسائل المبعثرة" إلى "النظام الرياضي الشامل"، بوضعه لكتاب "العين"، لم يقم الخليل بمجرد سرد للكلمات، بل استعمل نظرية "التقليبات" الرياضية لحصر كل الاحتمالات الصوتية للجذور العربية (ثنائية، ثلاثية، رباعية، وخماسية).

لقد اعتمد الخليل منهجاً صوتياً فريداً، حيث رتب حروف المعجم لا بحسب ترتيب "أبجد" أو "أبتث"، بل بحسب مخارج الحروف من أقصى الحلق (العين) صعوداً إلى الشفتين، وهو ما يبرهن على وعي صوتي (فونولوجي) سابق لعصره بقرون، كما ميز في معجمه بين "المستعمل" الذي نطق به العرب، و"المهمل" الذي تجوزه القواعد الرياضية لكن العرب لم تستخدمه، مما جعل العربية لغة محصورة رياضياً ومحمية من أي زيادة أجنبية[1].

### 2. سيبويه و"الكتاب": صياغة المنطق النحوي والتحليل اللساني

إذا كان الخليل هو المهندس، فإن تلميذه سيبويه هو "المشرّع" الذي صاغ دستور اللغة في أثره الخالد "الكتاب"، لم يكن سيبويه يهدف لتلقين القواعد فحسب، بل كان يبحث عن "أسرار النظم" وقوانين الجملة، توسع سيبويه في شرح مفاهيم (الاستقامة، القبح، الحسن، والإحالة) في الكلام، واضعاً أولى لبنات ما يعرف اليوم بـ "اللسانيات التداولية"، حيث يربط بين حركة الإعراب وقصد المتكلم.

لقد استطاع سيبويه في "الكتاب" أن يجمع بين "السماع" (النقل عن العرب) و"القياس" (العقل والمنطق)، ووضع نظرية "العامل" التي تفسر لماذا تتغير أواخر الكلم، إن عبقرية سيبويه تكمن في قدرته على تشريح الجملة العربية وربط أجزائها ببعضها البعض في نظام متناغم، حتى قيل إن "الكتاب" هو "قرآن النحو" الذي لا يستغني عنه باحث في أسرار اللسان العربي[2].

---

[1]– الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، ج1، ص 48 ،49.

[2]– سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج1، ص 15–20.

### 3. الصراع المعرفي بين مدرستي البصرة والكوفة (إثراء التعددية)

شهد العصر العباسي ذروة التنافس بين "البصرة" بزعامة سيبويه وتلامذته، و"الكوفة" بزعامة الكسائي والفراء، هذا العنوان يحلل كيف أدى الخلاف المذهبي إلى تعميق البحث اللغوي؛ فبينما كانت البصرة تميل إلى "المنطق" و"اطراد القياس"، كانت الكوفة تميل إلى "المنهج الوصفي" والاحتفاء بكل ما سُمع عن العرب ولو كان نادراً أو شاذّاً.

هذا التنافس لم يكن مجرد صراع شخصي، بل كان صراعاً منهجياً أثمر عن توسيع دائرة الاستشهاد اللغوي، فقد سمحت مدرسة الكوفة بمرونة أكبر في التأويل، مما خدم الفقهاء والمفسرين في فهم النصوص الشرعية ذات الوجوه المتعددة. إن هذا الصراع هو الذي ولّد "علم الخلاف النحوي" الذي يدرّس اليوم كفرع من فروع فكرنا اللغوي الأصيل[1].

### 4. ابن جني وعبقرية "الخصائص" (فلسفة اللغة واللسانيات العامة)

وصل الفكر اللغوي في العصر العباسي إلى قمة التجريد الفلسفي مع ابن جني في كتابه "الخصائص"، تجاوز ابن جني "النحو التعليمي" ليبحث في "ماهية اللغة" ونشأتها: هل هي وحي من الله أم مواضعة واصطلاح بين البشر؟ كما وضع نظريات لسانية مذهلة مثل "الاشتقاق الأكبر" (المناسبة بين تتابع الحروف وتتابع المعنى)، وناقش قضايا "قوة اللفظ لقوة المعنى."

توسع ابن جني في دراسة "أسرار العربية" وخصائصها التي تميزها عن غيرها من اللغات، مثل (الاتساع، الحذف، والشجاعة اللغوية)، إن جهوده تضاهي أحدث النظريات اللسانية الحديثة (كالبنيوية والتوليدية)، حيث نظر للغة ككائن حي يتطور ويخضع لقوانين داخلية صارمة، وبذلك، نقل ابن جني الدرس اللغوي من "المستوى الإجرائي" إلى "المستوى الفلسفي الوجودي[2]."

### 5. تدوين "أصول النحو" ومحاكاة المنهج الأصولي

في هذا العصر، بدأ اللغويون يستشعرون الحاجة إلى وضع "قواعد للقواعد"، فظهر علم "أصول النحو"، تأثراً بعلم أصول الفقه، وضع العلماء (مثل ابن الأنباري والسيوطي لاحقاً) أركان القياس النحوي:

[1]– كمال الدين الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، دار الفكر، ص 10،11.

[2]– ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ج1، ص 142–150.

(السماع، الإجماع، القياس، واستصحاب الحال)، هذا العنوان يشرح كيف أصبح النحو علماً "منطقياً" له أدلة وقوانين استنباط واضحة.

لقد ساعد تدوين الأصول في تحديد "من يحتج بكلامه" و"من لا يحتج به"، مما وضع حدوداً زمنية ومكانية للغة الفصيحة، هذا التأطير الأصولي هو الذي حمى النحو من "الاستنتاجات الفردية" وجعله علماً مؤسسياً يقوم على براهين عقلية ونقلية ثابتة، مما منح اللغة العربية استقراراً لم تشهده لغات الأمم الأخرى[1].

## 6. نشأة "علم الدلالة "وتصنيف المعاني

لم يكتفِ علماء العباسيين بضبط الألفاظ، بل غاصوا في "المعنى"، ظهرت كتب "الفروق اللغوية" (مثل كتاب أبي هلال العسكري) التي تبحث في الدقائق الدلالية بين الكلمات المتقاربة (مثل الفرق بين "الرؤية" و"النظر"، أو "العلم" و"المعرفة")، هذا التوسع الدلالي جعل العربية لغة غاية في الدقة الفلسفية والأدبية.

كما ظهرت المعاجم التي تتبع "الحقيقة والمجاز"، مثل "أساس البلاغة" للزمخشري، الذي ربط بين الاستعمال اللغوي الأصلي والاستعمال الفني الجمالي، هذا التوجه نحو "الدلالة" حوّل اللغة من مجرد أصوات إلى رموز ثقافية وفكرية تحمل قيم الحضارة، مما مهد الطريق لنضج علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع) لاحقاً[2].

## 7- حركة الترجمة وأثر "المنطق اليوناني" في صياغة التعليل النحوي

مع ازدهار بيت الحكمة، دخلت الفلسفة والمنطق اليوناني إلى البيئة العربية. تأثر النحاة (وخاصة البصريين) بطرائق الاستدلال المنطقي، فبدأوا يميلون إلى "التعليل" المنطقي للظواهر اللغوية، هذا العنوان يناقش الجدل حول "أرسطالية النحو العربي"؛ وكيف استوعب العرب أدوات المنطق ليطوروا بها نحوهم الخاص دون أن يفقد هويته.

[1]- السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، تحقيق: طه محسن، ص 34.

[2]- أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، دار العلم والثقافة، القاهرة، ص 15.

لقد ساعد المنطق في تنظيم التقسيمات والتعريفات النحوية، مما جعل النحو "علماً برهانياً"، وبالرغم من أن المادة لغوية عربية خالصة، إلا أن "القالب" الذي صُبت فيه القواعد في هذا العصر اتسم بمسحة فلسفية عقلية، مما رفع من شأن اللغة العربية لتصبح لغة العلم والبرهان في القرون الوسطى[1].

## المطلب الرابع: عصر الانحطاط (مرحلة الموسوعية وحماية الذاكرة اللغوية)

### 1. إشكالية المصطلح: بين "الانحطاط السياسي" و"الازدهار التدويني"

يجب في البداية تفكيك مصطلح "عصر الانحطاط" من منظور لساني؛ فبينما شهدت الدولة تراجعاً سياسياً وعسكرياً بسقوط بغداد (656هـ)، شهدت اللغة العربية أكبر حركة "أرشفة" في تاريخها، لم يكن العلماء في هذه الفترة "مقلدين" فحسب، بل كانوا "أمناء" على الهوية العربية، توسع هذا الاتجاه في الحفاظ على الأصول اللغوية من خلال تجميع شتات الكتب السابقة في مؤلفات ضخمة، وهو جهد إنقاذي بامتياز منع اندثار الكثير من النصوص التي فُقدت أصولها في حريق مكتبة بغداد[2].

### 2. ابن منظور وموسوعة "لسان العرب" (نهاية الأرب في لغة العرب )

يُمثل معجم "لسان العرب" قمة النضج المعجمي الموسوعي؛ حيث استطاع ابن منظور أن يدمج خمسة من أمهات المعاجم (تهذيب اللغة، المحكم، الصحاح، حواشي ابن بري، والنهاية لابن الأثير) في مدونة واحدة، لم يكتفِ ابن منظور برصد المفردات، بل توسع في إيراد الشواهد القرآنية والحديثية والشعرية، مما جعل المعجم ديواناً للعرب وحافظاً لثقافتهم وتاريخهم اللغوي.

إن منهج ابن منظور في الترتيب (نظام القافية) ساهم في تيسير اللغة للشعراء والكتاب في ذلك العصر، كما أن فقرات المعجم تميزت بالاستقصاء الدلالي العميق، حيث لم يترك لفظة إلا وتتبع تطورها واستعمالاتها، وبذلك، أصبح "لسان العرب" المرجع الذي لا يستغني عنه أي باحث، والمنبع الذي شرب منه اللغويون في العصور اللاحقة[3].

---

[1]– مازن المبارك، النحو العربي: العلة والنحو، دار الفكر، ص 45.

[2]– شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، القاهرة، ص 380–385.

[3]– ابن منظور، لسان العرب (المقدمة)، دار صادر، بيروت، ج1، ص 7–10.

### 3. ابن مالك والألفية: بيداغوجيا النحو وتيسير التلقي

نركز هنا عن تحول النحو من "فلسفة" إلى "نظم تعليمي"، فقد برز جمال الدين بن مالك بصياغة "الألفية"، التي لخصت قواعد النحو والصرف في ألف بيت من بحر الرجز، هذا التوجه نحو "المنظومات" كان استجابة لحاجة العصر إلى حفظ القواعد في ظل تراجع السليقة اللغوية.

لقد أصبحت الألفية هي "المتن المركزي" الذي دارت حوله مئات الشروح (مثل شرح ابن عقيل، والأشموني)، مما خلق بيئة تعليمية مستقرة حافظت على استمرارية الدرس النحوي في المدارس والمساجد، ورغم انتقاد البعض لهذا المنهج "المتنوي" لكونه جفف الروح الفلسفية للنحو، إلا أنه كان الضمانة الوحيدة لعدم تفشي اللحن في الطبقات المتعلمة[1].

### 4. جلال الدين السيوطي وكتاب "المزهر" (أول موسوعة في فقه اللغة)

يُعد السيوطي "خاتمة المحققين" وعبقرية عصر الانحطاط بامتياز. في كتابه "المزهر في علوم اللغة وأنواعها"، وضع السيوطي أول محاولة شاملة لتبويب علوم اللغة وفق منهج وصفي استقصائي. قسّم الكتاب إلى أنواع (السماعي، القياسي، الشاذ، المعرب، المترادف، المشترك...)، متبعاً في ذلك منهج المحدثين في نقد الأسانيد والمتون اللغوية.

توسع السيوطي في دراسة "حياة اللغة" وتفاعلها مع اللغات الأخرى، وناقش قضايا "توليد" الألفاظ و"تعريبها"، مما جعل كتاب المزهر بمثابة "دائرة معارف لغوية" تختزل مئات السنين من الفكر اللساني العربي، إن السيوطي لم يكتفِ بالنقل، بل كان يوازن بين الآراء وينقدها، مما يجعله رائداً في الدراسات اللسانية المقارنة والوصفية[2].

### 5. الفيروزآبادي و"القاموس المحيط" (ثورة الاختصار والترميز)

أحدث الفيروزآبادي نقلة نوعية في الصناعة المعجمية بوضعه للقاموس المحيط. تميز هذا العمل بالقدرة الفائقة على الاختصار مع الشمول، واستعمال نظام "الرموز" (مثل: ج للجماعة، م للموضع، ع

[1]– ابن مالك، الخلاصة (الألفية)، تحقيق: سليمان العيوني، ص 15 ، 16.

[2]– جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: جاد المولى وبجاوي، دار إحياء الكتب العربية، ج1، ص 20–35.

للعين...)، مما جعل المعجم رفيقاً محمولاً للمثقف العربي. هذا العنوان يبحث في كيف أصبح "القاموس" مصطلحاً مرادفاً لـ "المعجم" في الوعي الجمعي، وكيف ساهم في تبسيط البحث اللغوي للعامة والخاصة[1].

## 6. حركة الشروح والحواشي (العمق التحليلي والمناقشات المنطقية)

رغم اتهام عصر الانحطاط بالجمود، إلا أن "الحواشي" (مثل حاشية الصبان، حاشية الخضري) مثلت ذروة التحليل المنطقي للمسائل النحوية، و توسع العلماء في هذه الحواشي في مناقشة "الاحتمالات الإعرابية" و"العلل البعيدة"، مما جعل الدرس النحوي رياضة ذهنية معقدة، هذا العنوان يبرز الجانب "التحليلي" في فكر المتأخرين وكيف حافظوا على دقة المصطلح النحوي وقوته التفسيرية أمام تحديات العجمة المتزايدة.

## 7. الجهود اللغوية في خدمة العلوم الشرعية (النحو الوظيفي)

في هذه المرحلة، ارتبطت اللغة ارتباطاً عضوياً بعلوم التفسير والفقه. برز علماء مثل "السمين الحلبي" في كتابه (الدر المصون) الذي حلل إعراب القرآن تحليلاً دقيقاً، هذا العنوان يوضح كيف تحولت اللغة إلى "آلة (Tool) "لخدمة الاستنباط الفقهي، وكيف ساهم هذا الارتباط الوظيفي في منع موت اللغة العربية، حيث ظلت لغة البحث العلمي والتشريع حتى في أضعف فترات الدولة سياسياً[2].

## 8. أثر التطور الاجتماعي في ظهور "المصطلحات المولدة"

ناقش علماء هذا العصر (كالسيوطي) قضية "المولد" و"المعرب" بكثافة، ومع تغير نمط الحياة في الحواضر، دخلت كلمات أعجمية (فارسية، تركية، يونانية) إلى اللسان العربي، توسع العلماء في وضع ضوابط لقبول هذه الكلمات أو رفضها، وهو ما يمثل بدايات ما نسميه اليوم بـ "المجمع اللغوي"، حيث سعوا للحفاظ على نقاء العربية مع الاعتراف بضرورة التطور الاجتماعي واللغوي.

[1]– الفيروزآبادي، القاموس المحيط (المقدمة)، مؤسسة الرسالة، ص 5.

[2]– السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، دار الكتب العلمية، ج1، ص 12.

## خلاصة:

بهذه العناوين والفقرات، يكتمل مشهد الجهود اللغوية في المشرق العربي، من صرخة أعرابي لحن في آية بصدور الإسلام، إلى قواميس موسوعية حفظت كيان الأمة في عصور الضعف، لقد كان هذا المسار رحلة من "الفطرة" إلى "القانون"، ومن "الكلمة" إلى "النظام"، مما جعل العربية اللغة الوحيدة في العالم التي تمتلك هذا السجل التدويني الصارم والمستمر.

## المبحث الثاني: جهود علماء العربية القدامى في المغرب الإسلامي– المغرب العربي والاندلس–

### تمهيد

لم يكن دخول اللغة العربية إلى بلاد المغرب الإسلامي (المغرب العربي والأندلس) مجرد انتقال لغوي عابر، بل كان حَدَثاً حضارياً بامتياز، تمازجت فيه لغة الضاد مع الألسن المحلية في بيئة جغرافية وثقافية جديدة. في البداية، كان علماء هذه المنطقة عالةً على نتاج المشارقة، يرحلون إلى البصرة والكوفة وبغداد لطلب علوم النحو واللغة، ثم يعودون لنشرها، ولكن، مع استقرار الدول وازدهار الحواضر العلمية، بدأ العقل المغاربي والأندلسي يتجه نحو الاستقلال المعرفي. فلم يكتفِ هؤلاء العلماء بدور "الناقل"، بل انتقلوا إلى مربع "المنتج" و"المُبدع"، مؤسسين مدارس لغوية ذات طابع خاص ومناهج علمية دقيقة، ويتناول هذا المبحث أبرز الجهود التي بذلها هؤلاء الأعلام في شتى فروع علوم العربية، وكيف استطاعوا تطويع هذه العلوم وتطويرها لتلائم واقعهم، مما جعل للمغرب الإسلامي بصمة لا تُمحى في تاريخ اللسانيات العربية.

### 1. نشأة الدرس اللغوي في المغرب الإسلامي ومراكز الإشعاع الأولى

بدأ الدرس اللغوي في المغرب الإسلامي والأندلس متأثراً بالوافد من المشرق، إلا أنه سرعان ما تبلور وتأسست له مراكز إشعاع علمي خاصة في مدن كالقيروان، وقرطبة، وتلمسان، وبجاية، لم يكتفِ علماء هذه الحواضر بتلقين علوم اللغة كما جاءت، بل عملوا على تبيئتها ونشرها بين الأمازيغ والعرب على حد سواء، مما جعل هذه المدن قِبلة لطالبي علوم النحو والصرف واللغة، وأسهم في ترسيخ جذور العربية في ربوع المغرب الإسلامي لتصبح لغة الدين، والإدارة، والثقافة اليومية.

وقد لعبت الرحلات العلمية (الرحلة في طلب العلم) دوراً حاسماً في هذه النشأة؛ فقد كان طلاب العلم المغاربة يتجشمون عناء السفر إلى الحجاز والعراق ومصر، ليأخذوا العلم من منابعه الصافية، وعند عودتهم، كانوا ينقلون معهم أمهات الكتب، مثل "كتاب سيبويه"، ويقومون بإقرائه وشرحه في مساجد قرطبة والقيروان، مما أدى إلى خلق جيل من النحاة واللغويين المحليين الذين تشبعوا بالقواعد الأصيلة وبدأوا في تطبيقها على واقعهم.

ولم تلبث هذه المراكز أن تحولت إلى بيئات جاذبة للعلماء المشرقيين أنفسهم، الذين وفدوا إلى الأندلس والمغرب هرباً من الفتن السياسية أو بحثاً عن رعاية الأمراء (كما حدث مع أبي علي القالي)، هذا التلاقح أفرز بيئة علمية تنافسية، جعلت الحواضر المغاربية تضاهي بغداد ودمشق في تخريج أئمة اللغة والتصنيف فيها[1] .

## 2. التفاعل مع المدرستين البصرية والكوفية وتأسيس المنهج المغاربي

في بدايات الدرس النحوي، انقسم علماء المغرب والأندلس بين مؤيد للمدرسة البصرية (الميل إلى القياس والمنطق) والمدرسة الكوفية (الاعتماد على السماع وتعدد الشواهد)، غير أن النضج العلمي أدى إلى ظهور "مدرسة مغاربية أندلسية" مستقلة، جمعت بين المدرستين بمقاربة براغماتية انتقائية، حيث أخذ العلماء ما يوافق التيسير ورفضوا التعقيدات الفلسفية، وهو ما يظهر جلياً في ترجيحات ابن مضاء القرطبي الذي دعا إلى إلغاء نظرية العامل النحوي.

لقد ارتكز المنهج المغاربي المستحدث على فكرة "نبذ التكلّف"؛ فقد رأى علماء الأندلس والمغرب أن إغراق النحاة المشارقة في التأويلات والعلل الثواني والثوالث (العلل الفلسفية) يُفسد غاية النحو الأساسية، وهي صون اللسان عن الخطأ، ولذلك، اتجهوا نحو تبسيط القاعدة النحوية، والاعتماد على ظاهر النص اللغوي، والابتعاد عن الافتراضات الذهنية التي لا وجود لها في كلام العرب.

وقد تجلى هذا الاستقلال الفكري بوضوح في النقد الجريء الذي وجهه علماء المغرب للمشارقة، فلم يتهيبوا من تخطئة كبار أئمة النحو إذا وجدوا في كلام العرب ما يخالف قواعدهم، هذا المنهج النقدي الحر أثمر مؤلفات نحوية تتسم بالدقة والوضوح والتركيز على البعد الوظيفي للغة بدلاً من البعد الفلسفي الصرف [2].

## 3. التأليف المعجمي وصناعة القواميس اللغوية

أسهم علماء الأندلس والمغرب إسهاماً غير مسبوق في التأليف المعجمي، حيث سعوا إلى جمع مفردات اللغة وضبطها وحفظها من الضياع، ومن أبرز هذه الجهود كتاب "البارع في اللغة" لأبي علي القالي الذي وضع اللبنات الأولى، وتُوّجت هذه الجهود بأعمال ضخمة مثل "المخصص" و"المحكم" لابن

[1]– أبو القاسم سعد الله، **"تاريخ الجزائر الثقافي"**، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي، ص 145–147.

[2]– عبد الرحمن الحاج صالح، **"بحوث ودراسات في اللسانيات العربية"**، موفم للنشر، الجزائر، ص 88.

سيده الأندلسي، والتي امتازت بالترتيب الموضوعي الدقيق للألفاظ، مما شكل إضافة نوعية للمعاجم العربية المشرقية وأسس لمدرسة معجمية رصينة.

وقد تنوعت المناهج المعجمية في المغرب الإسلامي، فمنهم من اتبع نظام التقليبات الصوتية (مثل مدرسة الخليل بن أحمد)، ومنهم من اتبع نظام الأبواب والموضوعات الدلالية، ويُعد كتاب "المخصص" لابن سيده قمة ما أنتجه العقل اللغوي في هذا الباب، حيث يُصنف كأكبر معجم معاني في التراث العربي، جمع فيه المفردات المتعلقة بكل موضوع (كالخيل، الإنسان، الطبيعة) في فصل واحد، مما سهل على الكُتّاب والأدباء إيجاد المترادفات.

إضافة إلى ذلك، اهتم المغاربة بـ "المعجميات المتخصصة"، فظهرت كتب تبحث في "المثلثات اللغوية"، و"المقصور والممدود"، و"الأضداد"، و"غريب الحديث"، وكان الدافع الأساسي وراء هذا النشاط المعجمي المحموم هو الخوف على نسيء اللغة الأصلية في بيئة تشهد احتكاكاً مستمراً باللغات اللاتينية والبربرية، فكانت القواميس بمثابة الحصن المنيع لهوية الأمة [1].

### 4. تيسير النحو العربي وابتكار المنظومات التعليمية

أدرك علماء المغرب الإسلامي أن استيعاب النحو يتطلب مناهج مبسطة، فابتكروا أساليب تعليمية تعتمد على التلخيص والنظم (الشعر التعليمي) لتسهيل الحفظ على الطلاب، وتعد "المقدمة الآجرومية" لابن آجروم الصنهاجي (من المغرب الأقصى) و"الخلاصة" (ألفية ابن مالك الأندلسي) من أعظم ما أُنتج في هذا المجال، حيث لا تزال هاتان المنظومتان تُدرسان في مختلف أنحاء العالم الإسلامي حتى اليوم، مما يثبت براعة المغاربة في الديدكتيك (علم التدريس) اللغوي.

لقد اعتمدت هذه المقاربة التعليمية على مبدأ "التدرج"؛ فكان الطالب المبتدئ يشرع في حفظ "الآجرومية" التي تقتصر على أساسيات الإعراب وعلاماته دون الخوض في الخلافات النحوية، مما يمنحه ثقة وسرعة في فهم تركيب الجملة، وبعد إتقانها، ينتقل إلى مستوى أعلى بحفظ "ألفية ابن مالك" التي جمعت خلاصة علمي النحو والصرف في أبيات شعرية تتميز بالسلاسة ودقة العبارة.

لم يقتصر الأمر على التأليف والنظم، بل برع العلماء المغاربة في الشرح والتحشية (كتابة الحواشي). فقد أُلفت مئات الشروح على هذه المنظومات، تتفاوت بين الاختصار الشديد للمبتدئين، والتطويل المسهب

[1]– صالح بلعيد، "**في قضايا اللغة العربية**"، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، ص 112.

للمتخصصين، وهذا يعكس وعياً تربوياً عميقاً بضرورة مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين، وهو ما يشكل جوهر النظريات التربوية الحديثة[1] .

## 5. جهود العلماء في علم الأصوات والتجويد

لم ينفصل الدرس اللغوي عن الدرس القرآني في المغرب الإسلامي، فقد برع العلماء في علم الأصوات (الفونيتيك) من خلال دراسة مخارج الحروف وصفاتها في إطار علم التجويد والقراءات، ويعد أبو عمرو الداني في الأندلس والإمام الشاطبي من الرواد الذين ضبطوا الأداء الصوتي للغة العربية، ووضعوا قواعد دقيقة للتفريق بين الأصوات المجهورة والمهموسة والمفخمة والمرققة، مما حفظ للغة العربية نطقها السليم.

لقد قدم هؤلاء العلماء وصفاً تشريحياً دقيقاً لجهاز النطق البشري، فحددوا بدقة متناهية وظيفة الشفتين، واللسان، والحلق، وتجويف الأنف (الخيشوم) في إصدار كل صوت لغوي، ولم تكن دراستهم نظرية فحسب، بل كانت تطبيقية صارمة تُمارس يومياً في حلقات الإقراء، حيث كان التلقين الشفهي المباشر هو المعيار الأسمى لضبط الأداء الصوتي ومنع تحريف كلام الله.

علاوة على ذلك، اهتم علماء المغرب والأندلس بـ "الظواهر الصوتية المقطعية" كالمد، والغنة، والإدغام، والإمالة، وكانت ظاهرة "الإمالة" (تقريب الفتحة من الكسرة) شائعة في قراءات أهل المغرب، وقد خصصوا لها أبواباً واسعة لدراسة عللها الصوتية والسياقات التي تجوز فيها، وهو ما يُعد إرهاصاً مبكراً لعلم "الفونولوجيا" التوليدية في العصر الحديث[2] .

## 6. التصدي لظاهرة اللحن وحماية الفصحى

مع اتساع رقعة الدولة الإسلامية واختلاط العرب بغيرهم في الأندلس والمغرب، تفشت ظاهرة "اللحن" (الخطأ في الإعراب واللغة) في التخاطب اليومي، وهبّ العلماء لتصنيف كتب متخصصة في "لحن العامة" و"لحن الخاصة"، مثل كتاب "لحن العوام" لأبي بكر الزبيدي، حيث تميزت هذه الكتب برصد الأخطاء الشائعة وتقديم الصواب اللغوي بأسلوب نقدي وتقويمي، مما أسهم في وضع معايير لغوية حافظت على نقاء الفصحى.

---

[1]– محمد ساري، " **الجهود النحوية والتعليمية في المغرب العربي**"، مجلة الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، العدد 12، ص 45.

[2]– خليل بوعمامة، " **الدرس الصوتي عند علماء الأندلس والمغرب**"، مجلة الممارسات اللغوية، جامعة مولود معمري تيزي وزو، الجزائر، العدد 8، ص 23–24.

لم يكن منهج التأليف في هذا الباب عشوائياً، بل اعتمد على الملاحظة الميدانية؛ حيث كان اللغويون يجوبون الأسواق ويستمعون إلى محاورات الناس، فيدونون الألفاظ المحرفة والتراكيب الدخيلة (سواء المتأثرة بالرومانسية في الأندلس أو الأمازيغية في المغرب)، ثم يقومون بردها إلى أصولها الفصيحة، مبينين سبب الوهم الذي وقع فيه العامة.

والمثير للاهتمام أنهم لم يقتصروا على نقد العامة، بل تجاوزوا ذلك لتصنيف كتب في "لحن الخاصة" (أخطاء المثقفين والكتاب والفقهاء)، وهذا يدل على موضوعيتهم العلمية وصرامتهم في حراسة لغة الضاد؛ فالخطأ اللغوي عندهم مرفوض سواء صدر عن عامي بسيط أو عالم جليل، لأن التهاون فيه يُفضي بمرور الزمن إلى تآكل البنية المورفولوجية والتركيبية للغة العربية[1].

## 7. تطوير البلاغة والنقد الأدبي

تجاوز اهتمام المغاربة والأندلسيين الجانب النحوي والصرفي إلى الجانب الجمالي للغة، حيث أثروا علم البلاغة والنقد الأدبي بقواعد جديدة، برز حازم القرطاجني في كتابه "منهاج البلغاء وسراج الأدب"، والذي حاول فيه المزج بين البلاغة العربية والمنطق اليوناني الموروث عن أرسطو، مقدماً نظرية متكاملة في الشعر والتخييل، مما جعل الدرس البلاغي المغاربي يتميز بالعمق الفلسفي والتحليل النفسي للتأثير الجمالي.

لقد أخرج النقاد المغاربة الدرس البلاغي من قفص المحسنات البديعية اللفظية الباردة (التي شاعت في عصور الانحطاط المشرقية)، إلى رحاب "علم المعاني" و"البيان" المرتبط بقصد المتكلم وحال المخاطب، وركزوا على دراسة الصورة الشعرية باعتبارها كياناً نفسياً يُحدث أثراً شعورياً، وليس مجرد زينة شكلية تُضاف إلى النص.

كما برزوا في النقد التطبيقي؛ حيث كانوا يعقدون الموازنات بين الشعراء، ويحللون القصائد تحليلاً بنيوياً يراعي وحدة القصيدة العضوية وتناسب أجزائها. وقد ساهمت بيئة الأندلس والمغرب الزاخرة بالطبيعة الخلابة في إرهاف حس هؤلاء النقاد، فجعلوا من "الصدق الفني" و"الابتكار في التشبيه" معايير أساسية للحكم على جودة النصوص الأدبية [2].

---

[1]– عبد المالك مرتاض، "**اللغة العربية في الجزائر: تاريخها وقضاياها**"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 67.

[2]– عبد الله ركيبي،" **ملامح النقد الأدبي في المغرب العربي والأندلس**"، مجلة دراسات أدبية، جامعة الجزائر 1، العدد 5، ص 34.

## 8. دور الحواضر العلمية والزوايا في نشر علوم العربية

لم تقتصر جهود علماء العربية على التأليف، بل امتدت إلى التأسيس المؤسساتي، لعبت الحواضر العلمية كجامعة القرويين، وجامع الزيتونة، ومساجد تلمسان وبجاية دوراً محورياً في احتضان المجالس اللغوية. كانت هذه المؤسسات بمثابة جامعات تُعقد فيها المناظرات النحوية وتُمنح فيها الإجازات العلمية في علوم اللغة، مما خلق حراكاً ثقافياً حافظ على استمرارية التدريس اللغوي وربطه بالمجتمع.

وإلى جانب المساجد الكبرى، أدت "الزوايا" و"الكتاتيب" (المحاضر) في القرى والبوادي والواحات دوراً لا يقل أهمية، فقد كانت هذه المؤسسات الشعبية تتولى تعليم الصبيان مبادئ القراءة والكتابة، وتحفيظهم القرآن الكريم متون النحو الأساسية، مما ساهم في محو الأمية اللغوية ونشر الفصحى حتى في أبعد المناطق الجبلية والصحراوية.

وقد اعتمدت هذه المؤسسات على نظام "الإجازة"، وهو نظام أكاديمي صارم يضمن سلسلة الأسانيد العلمية، فلا يُسمح لطالب بتدريس كتاب في النحو أو اللغة إلا بعد أن يقرأه كاملاً على شيخه ويُختبر فيه، ليمنحه الشيخ إجازة مكتوبة تُثبت أهليته، هذا النظام حال دون تصدر غير المؤهلين وحافظ على جودة التحصيل اللغوي عبر القرون[1].

## 9. العروض والقوافي وتطويع الأوزان الشعرية

أدى التطور الثقافي والاجتماعي في الأندلس والمغرب إلى ابتكار فنون شعرية جديدة كالـ "موشحات" والـ "أزجال"، والتي تطلبت من علماء العروض إعادة النظر في دوائر الخليل بن أحمد الفراهيدي لتستوعب الأوزان المستحدثة، حيث قام العلماء المغاربة بدراسة هذه الأوزان الجديدة وضبط إيقاعاتها، مما أثبت مرونة اللغة العربية وقدرتها على التكيف مع الإيقاعات الموسيقية المتنوعة دون الإخلال بهيكلها العام.

لم يكن الخروج عن القصيدة العمودية التقليدية تمرداً عشوائياً، بل كان استجابة لحاجة مجتمعية وفنية ارتبطت بمجالس الغناء والطرب، وقد انبرى علماء اللغة لتحليل هذه الأشكال الجديدة، فوضعوا لها مصطلحات عروضية خاصة (كالأسماط، والأغصان، والأقفال)، وقننوا قوافيها المتعددة، مما أدخل الموشح والزجل في الدائرة الرسمية للأدب العربي المعتمد.

[1]– يحيى بوعزيز، **"تاريخ التعليم في الجزائر والمغرب العربي"**، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، ص 92.

وهكذا، أثبت العقل المغاربي قدرته على التجديد ضمن الأصول؛ فقد حافظوا على موسيقى الشعر العربي، لكنهم نوعوا في تفعيلاته وهندسته المعمارية، ولم يتوقف الأمر عند الموشحات، بل امتد ليشمل دراسة فنون النظم الشعبي التي انتشرت في بلاد المغرب، مما يُعد توثيقاً لسوسيولوجيا الأدب في تلك الحقبة وربطاً للغة بنبض الشارع ووجدانه [1].

**10. تلاحم علوم اللغة العربية مع العلوم الشرعية**

الميزة الأبرز لجهود علماء المغرب الإسلامي هي المزاوجة التامة بين علوم الآلة (اللغة) وعلوم الغاية (الشرع). فقد وُظف النحو، والصرف، والبلاغة بشكل أساسي في استنباط الأحكام الفقهية وتفسير القرآن الكريم. وبرز ذلك في تفاسير المغاربة والأندلسيين التي لا تكاد تخلو من توجيهات نحوية عميقة ودقيقة (مثل تفسير القرطبي وابن عطية)، حيث اعتبروا أن إتقان العربية هو الشرط الأول لفهم مقاصد الشريعة الإسلامية.

في مجال "أصول الفقه"، اعتمد العلماء بشكل مكثف على المباحث الدلالية (كمباحث الأمر والنهي، والعام والخاص، والمطلق والمقيد)، وهي في صميمها مباحث لغوية، لقد أدرك فقهاء المالكية في الأندلس والمغرب أن أي خلل في فهم دلالة الحرف أو بنية الكلمة قد يؤدي إلى استنباط حكم شرعي خاطئ، فاشترطوا بلوغ درجة الاجتهاد في اللغة لمن أراد الإفتاء.

وتجلت هذه التوأمة أيضاً في النقاشات العقدية والكلامية، حيث استعان العلماء بأدوات النحو والبلاغة (كالمجاز والتأويل) للرد على الخصوم وإثبات العقائد، وبهذا التلاحم العضوي، لم تبقَ علوم اللغة العربية مجرد قواعد جافة تُحفظ لذاتها، بل أصبحت أداة حية وفاعلة لفهم الوحي وتسيير شؤون الحياة الدينية والدنيوية للأمة[2].

**11. التأليف في فقه اللغة والبحث الدلالي (الاشتقاق والدخيل)**

لم يقتصر اهتمام علماء المغرب والأندلس على النحو والمعجم، بل غاصوا في "فقه اللغة"، وهو العلم الذي يبحث في أسرار العربية، وخصائص ألفاظها، وتطور دلالاتها، وقد برعوا في دراسة قضايا "الترادف"، و"الأضداد"، و"الاشتقاق"، محاولين تفسير كيفية توليد الألفاظ الجديدة من الجذور اللغوية

[1]– محمد بن سمينة، **"الدرس العروضي وابتكارات الأندلسيين"**، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر 2، العدد 15، ص 51.

[2]– عبد الله شريط، **"تطور الفكر الإسلامي في المغرب العربي"**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 105.

الأصلية لتلبية حاجات المجتمع المتطورة. كما درسوا خصائص الحروف ومعانيها الخفية، مما يعكس وعياً متقدماً بالفلسفة اللغوية.

إلى جانب ذلك، فرضت البيئة المغاربية والأندلسية المفتوحة على لغات أخرى (كاللاتينية والأمازيغية) واقعاً لغوياً جديداً، مما دفع العلماء إلى دراسة ظاهرة "المُعَرَّب والدخيل"، فقاموا بتتبع الألفاظ الأجنبية التي تسللت إلى لغة التخاطب أو الكتابة، ووضعوا ضوابط دقيقة لتعريبها وصياغتها على أوزان العرب، مما حمى النظام الصرفي للغة العربية من التصدع، وفي الوقت نفسه منحها مرونة لاستيعاب المصطلحات الجديدة في الطب والفلاحة والصناعة[1].

## 12. التصنيف في تراجم اللغويين والنحاة (التأريخ للدرس اللغوي)

أدرك العقل المغاربي أهمية التوثيق والتأريخ للحركة العلمية، فظهر صنف من التأليف يُعرف بـ "الطبقات" أو "التراجم"، خُصص لتدوين سير النحاة واللغويين، ويُعد كتاب "طبقات النحويين واللغويين" لأبي بكر الزبيدي الأندلسي رائداً في هذا المجال؛ حيث لم يكتفِ بسرد أخبار العلماء، بل قدم تتبعاً دقيقاً لانتقال المدارس اللغوية من المشرق إلى المغرب، موثقاً الأسانيد العلمية (سلسلة الشيوخ والتلاميذ) التي تضمن دقة نقل المعرفة اللغوية.

ولم تكن هذه التراجم مجرد سرد تاريخي جاف، بل تضمنت نقداً وتقييماً للمناهج النحوية لكل عالِم. فمن خلال قراءة سير هؤلاء الأعلام، يمكن للباحث اليوم استنباط تطور المصطلحات النحوية، ومعرفة الكتب التي كانت معتمدة في التدريس، وطبيعة المناظرات التي كانت تدور في بلاطات الأمراء ومجالس المساجد، مما يجعله تأريخاً سوسيولوجياً للمؤسسة اللغوية في المغرب الإسلامي[2].

## 13. التعقبات والردود اللغوية بين علماء المغرب والمشرق

مع نضج الدرس اللغوي، انتقل علماء المغرب والأندلس من مرحلة التلقي والتبعية إلى مرحلة الندية والمحاورة النقدية مع علماء المشرق، فظهر ما يُسمى بأدب "الردود والتعقبات"، حيث قام لغويو المغرب بمراجعة أمهات الكتب المشرقية (مثل كتب المبرد، والزجاج، والفراء)، مستدركين عليهم أخطاءً في

[1]– الشريف مريبعي، **"تاريخ البحث اللغوي في المغرب العربي"**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 115.

[2]– عمار ساسي،" **الكتابة التاريخية والتراجم عند المغاربة"**، مجلة عصور، جامعة وهران، الجزائر، العدد 7، ص 82.

الشواهد، أو معترضين على تأويلاتهم النحوية المتعسفة، ومصححين لبعض التصحيفات التي وقعت في المخطوطات.

هذه الروح النقدية العالية أثبتت استقلالية الشخصية العلمية المغاربية. لم يكن نقد المشارقة نابعاً من عصبية إقليمية، بل من احتكام صارم إلى "السماع" (النصوص الموثوقة من كلام العرب) و"القياس" المنطقي السليم، وقد أدت هذه الردود إلى إثراء النقاش اللساني، وكسر هالة التقديس التي أحاطت ببعض الرموز النحوية المشرقية، مؤكدين أن العلم رَحِمٌ بين أهله يقبل المراجعة والتنقيح[1].

## 14. إسهام المرأة المغاربية والأندلسية في الدرس اللغوي والأدبي

من ألمع الصفحات في تاريخ المغرب الإسلامي هو الحضور البارز للمرأة في ميادين اللغة والأدب، لم تكن مجالس العلم حكراً على الرجال؛ بل شهدت بيوت العلماء وقصور الأمراء بروز نساء عالمات حفظن المعاجم، وأتقنّ النحو العروض، ونظمن الشعر، وقد ذُكرت في كتب التراجم أسماء نساء كنّ يمتلكن مكتبات ضخمة، ويقمن بنسخ المخطوطات اللغوية النادرة بخطوطهن البديعة، مما ساهم في حفظ التراث اللغوي.

إلى جانب النسخ والجمع، ساهمت المرأة كأديبة وناقدة في الصالونات الأدبية (مثل ولادة بنت المستكفي، وعائشة بنت أحمد القرطبية)، كما كان لهن دور محوري في التنشئة اللغوية السليمة للأجيال داخل الكتاتيب والقصور، حيث كنّ يعلمن الصبيان مبادئ القراءة والنحو والخط، هذا الحضور النسوي الراقي يعكس مدى رقي المجتمع المغاربي والأندلسي وتقديره للغة العربية كعنصر ثقافي جامع لا يفرق بين الجنسين[2].

[1]– محمد حسين الجيلاني، "**حركة النقد اللغوي في الأندلس والمغرب**"، دار الأمل للطباعة والنشر، تيزي وزو، الجزائر، ص 130.

[2]– زينب علي بن معلي، "**المرأة الأندلسية والمغاربية: إسهاماتها الثقافية والأدبية**"، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ص 54.

## المبحث الثالث: الجهود اللغوية لعلماء الجزائر

لم تكن الجزائر عبر تاريخها الطويل مجرد معبر للثقافات، بل كانت موطناً أصيلاً لإنتاج المعرفة اللغوية وتطويرها، فقد شكلت حواضرها العلمية مراكز استقطاب للعلماء، وأسهم أبناؤها في حفظ لغة الضاد وتيسيرها، ويمكن تقسيم الجهود اللغوية الجزائرية إلى مرحلتين متميزتين: مرحلة "الدرس اللغوي القديم" الذي ارتبط بنشأة الحواضر العلمية والتفاعل مع المدارس الأندلسية والمشرقية، ومرحلة "الدرس اللغوي الحديث" التي ارتبطت بالدفاع عن الهوية الوطنية إبان الاستعمار، ثم التأسيس الأكاديمي واللساني المعاصر بعد الاستقلال.

### أ- الجهود اللغوية لعلماء الجزائر قديماً

#### 1. دور الحواضر العلمية الجزائرية (بجاية وتلمسان) في ترسيخ الدرس النحوي

لعبت المدن الجزائرية الكبرى دوراً ريادياً في احتضان علوم العربية وتطويرها خلال العصور الوسطى والعهد الزياني والحفصي، فقد تحولت مدينة بجاية (الناصرية) وتلمسان إلى عواصم علمية تُشد إليها الرحال، حيث تأسست فيها مساجد وجامعات ومعاهد عليا استقطبت كبار النحاة واللغويين من الأندلس والمشرق، ولم يقتصر دور علماء هذه الحواضر على التلقي، بل أسسوا حلقات علمية صارمة لدراسة أمهات الكتب النحوية ككتاب سيبويه، وصنفوا شروحاً دقيقة ذللت صعاب النحو للمتعلمين في الشمال الإفريقي.

إلى جانب التدريس، برز تفاعل خصب بين المهاجرين الأندلسيين (الذين فروا بعد سقوط مدنهم) والعلماء المحليين في الجزائر، هذا التمازج أنتج مدرسة لغوية جزائرية تميزت بالدقة في الاستنباط والاعتدال في طرح المسائل النحوية، بعيداً عن التعقيدات الفلسفية التي سادت في بعض مدارس المشرق، وقد تم توثيق هذه الحركة العلمية من خلال الإجازات والرحلات التي أظهرت مكانة علماء تلمسان وبجاية في تخريج أجيال من أئمة اللغة والأدب[1].

[1]- أبو القاسم سعد الله، **"تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق**، ص 112-114.

## 2. الإسهامات في وضع الشروح والمنظومات النحوية (المدرسة الزواوية)

أدرك علماء الجزائر قديماً أهمية الجانب البيداغوجي (التعليمي) في نشر لغة القرآن، فابتكروا طرقاً ديدكتيكية تعتمد على الشعر والنظم لتسهيل استيعاب القواعد النحوية والصرفية، وتبرز هنا بشكل جلي جهود علماء منطقة الزواوة (منطقة القبائل)، وعلى رأسهم الإمام "أبو إسحاق إبراهيم الزواوي"، الذي تُنسب إليه أولى المحاولات المنهجية في اختصار النحو في منظومات شعرية، وقد تأثر به علماء لاحقون كابن معط الزواوي، صاحب "الدرة الألفية"، والتي تُعد أقدم من ألفية ابن مالك الشهيرة، حيث كان له السبق في نظم النحو في ألف بيت.

هذه المنظومات التعليمية لم تكن مجرد رصف للكلمات، بل كانت خلاصة دقيقة للخلافات النحوية، صيغت بأسلوب يسهل حفظه على طلاب الزوايا والكتاتيب في الجبال والقرى، وقد اعتنى علماء الجزائر لاحقاً بشرح هذه المنظومات وفك طلاسمها، فظهرت الحواشي والتعليقات التي تغوص في إعراب الشواهد وتوجيه القواعد، مما جعل من البيئة الجزائرية بيئة حاضنة ومنتجة للفكر النحوي التطبيقي الذي يخدم الغايات التعليمية بالدرجة الأولى[1].

## 3. التأليف المعجمي ودراسة غريب اللغة والألفاظ الفقهية

لم يهمل علماء الجزائر الجانب المعجمي الدلالي، بل أسهموا في جمع مفردات اللغة وضبطها، خاصة تلك المتعلقة بـ "غريب اللغة" أو المصطلحات ذات الصلة المباشرة بالعلوم الشرعية، ونظراً لسيادة المذهب المالكي في الجزائر، انبرى العديد من اللغويين لشرح الألفاظ الغامضة الواردة في كتب الفقه والحديث (مثل الموطأ والمدونة)، ووضعوا لها معاجم متخصصة تشرح دلالاتها وتأصيلها اللغوي، مما يؤكد التلاحم الوثيق بين علوم الآلة والعلوم الشرعية في المنظور المعرفي الجزائري.

علاوة على ذلك، اهتم علماء التراجم والأدب في الجزائر برصد الظواهر اللغوية الدخيلة التي بدأت تتسرب إلى لغة التخاطب نتيجة الاحتكاك بالأمم الأخرى، فقاموا بتأليف رسائل في تصحيح اللحن وتقويم اللسان،

[1]– محمد بن سمينة،" **الحركة النحوية في الجزائر قديماً: ابن معط الزواوي نموذجاً**"، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر 2، العدد 10، ص 45-46.

وكان الهدف من هذا النشاط المعجمي والتقويمي هو الحفاظ على نقاء اللغة العربية باعتبارها وعاء الوحي، وحمايتها من التشويه الذي قد يطال بنيتها الصرفية أو الدلالية في بيئة متعددة الثقافات[1].

## 4. تطوير الدرس البلاغي والنقدي في الحواضر الجزائرية

لم ينحصر اهتمام علماء الجزائر قديماً في النحو والصرف، بل امتد بقوة إلى علوم البلاغة (المعاني، البيان، والبديع) والنقد الأدبي، فقد شكلت مدينة تلمسان، على وجه الخصوص، بيئة خصبة لظهور نقاد وعلماء بلاغة تفاعلوا مع التراث المشرقي والأندلسي، وعملوا على شرح أمهات الكتب البلاغية كـ "تلخيص المفتاح" للقزويني، لم تكن شروحهم مجرد تكرار، بل تضمنت استدراكات نقدية وتطبيقات بلاغية على نصوص من الشعر المحلي والمغاربي، مما أسهم في تبيئة الدرس البلاغي وإخراجه من الجمود التنظيري إلى حيوية التطبيق.

كما ارتبط الدرس البلاغي في الجزائر القديمة ارتباطاً وثيقاً بـ "الإعجاز القرآني". فقد وظف العلماء أدوات البلاغة والنقد في تفاسيرهم لإبراز مكامن الجمال في النص القرآني، وتحليل التراكيب والأساليب البيانية التي يتفرد بها كلام الله، هذا المزج بين الذائقة الأدبية والعقيدة الدينية جعل من الدرس البلاغي الجزائري درساً هادفاً، يبتعد عن التكلف اللفظي ويسعى إلى تعميق الفهم الجمالي والروحي للغة العربية[2].

## 5. العناية بعلم الأصوات ومخارج الحروف من خلال القراءات القرآنية

قدم علماء الجزائر إسهامات جليلة في "علم الأصوات اللغوية" (الفونيتيك) من باب العناية الفائقة بعلم التجويد والقراءات القرآنية (وخاصة قراءة الإمام نافع برواية ورش التي سادت في المنطقة)، فقد دأب المقرئون في مساجد تلمسان، وقسنطينة، وبجاية على تأليف رسائل ومنظومات دقيقة تصف جهاز النطق البشري، وتحدد مخارج الحروف وصفاتها (كالهمس، والجهر، والاستعلاء، والإطباق) بدقة تشريحية مذهلة، لضمان الأداء الصوتي السليم للغة العربية ومنع تحريفها.

هذه الجهود الصوتية لم تكن نظرية بحسب، بل كانت تُمارس يومياً في "حلقات الإقراء"، حيث كان التلقين الشفهي المباشر والمشافهة هما الأساس في نقل الخصائص الصوتية للغة الفصحى من جيل إلى جيل، وقد تصدى هؤلاء العلماء لبعض الظواهر الصوتية الدخيلة أو اللهجية التي كادت أن تطغى على النطق

[1]– عبد المجيد حنون، **"التراث اللغوي في الجزائر إبان العهدين الزياني والعثماني"**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 78.

[2]– تركي رابح، "التعليم في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي"، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 85.

السليم، فوضعوا ضوابط صارمة للتفريق بين الأصوات المتقاربة، مما يُعد إرهاصاً حقيقياً للدراسات الصوتية والفيزيولوجية الحديثة[1].

## 6. دور الزوايا والمحاضر القرآنية في حماية الفصحى ونشر علوم الآلة

في الفترات التي شهدت فيها الجزائر تراجعات سياسية أو ضعفاً في المؤسسات الرسمية (كما في أواخر العهد الزياني وبعض فترات العهد العثماني)، برز الدور التاريخي لـ "الزوايا" (مؤسسات التصوف السني) و"المحاضر" في القرى والجبال والواحات الصحراوية كقلاع حصينة لحماية اللغة العربية، ولم تكتفِ هذه المؤسسات بتحفيظ القرآن الكريم، بل جعلت دراسة "علوم الآلة" (النحو، والصرف، والبلاغة) شرطاً أساسياً لكل طالب علم، حيث كانت تُدرس متون كـ "الآجرومية" و"ألفية ابن مالك" بشكل إلزامي.

لقد أسست هذه الزوايا (مثل زوايا توات، والأوراس، وجرجرة، ومزاب) نظاماً تعليمياً شعبياً متكاملاً، يعتمد على الحفظ والمناظرة وإعراب الشواهد، بفضل هذا الانتشار الأفقي الواسع، لم تعد اللغة العربية الفصحى حكراً على النخب في الحواضر الكبرى، بل تغلغلت في الأوساط الشعبية، مما شكل سداً منيعاً ضد محاولات الاختراق الثقافي، وحافظ على البنية الصرفية والنحوية للغة الضاد حية ونشطة في الذاكرة المجتمعية الجزائرية[2].

## 7. التأليف في تراجم اللغويين وتوثيق الأسانيد العلمية

أدرك علماء الجزائر أهمية التوثيق الأكاديمي لمسيرة الدرس اللغوي، فنشطوا في التأليف في فن "التراجم" و"الفهارس" و"البرامج" (وهي كتب تسجل سير العلماء وشيوخهم ومؤلفاتهم)، من أبرز هذه الأعمال كتاب "البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان" لابن مريم التلمساني، والذي يُعد وثيقة تاريخية بالغة الأهمية، لم تقتصر هذه الكتب على سرد الأسماء، بل وثقت بدقة المناهج اللغوية التي كان يتبعها النحاة، والكتب المعتمَدة في التدريس، والمناظرات التي كانت تجري بينهم.

هذا الجهد التوثيقي حفظ لنا "الأسانيد العلمية" المتصلة (سلسلة الشيوخ والتلاميذ) التي تثبت كيف انتقلت المعارف اللغوية من المشرق والأندلس لتستقر وتتطور في الجزائر، ومن خلال دراسة هذه التراجم، يمكن

[1]– عبد الرحمن متوي، "تاريخ القراءات في بلاد المغرب"، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، ص 62.

[2] – المهدي البوعبدلي، "جوانب من الحياة الثقافية بالجزائر في العهد العثماني"، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 118.

للباحث المعاصر أن يستقرئ طبيعة الحياة العقلية، ومدى التطور الذي لحق بالمصطلح النحوي، ومستوى الاستقلالية الفكرية التي وصل إليها اللغوي الجزائري القديم مقارنة بغيره من علماء الأمصار الإسلامية[1].

## ب- الجهود اللغوية لعلماء الجزائر حديثاً

### 1. جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والدفاع المستميت عن لغة الضاد

مع دخول الاستعمار الفرنسي للجزائر ومحاولته طمس الهوية الوطنية من خلال محاربة اللغة العربية وإصدار قرارات تعتبرها "لغة أجنبية" (مثل قرار شوتان 1938)، برز الدور التاريخي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بقيادة الإمام عبد الحميد بن باديس والشيخ محمد البشير الإبراهيمي، لم يكن دفاع الجمعية عن العربية مجرد موقف عاطفي، بل تجسد في مشروع مؤسساتي ضخم تمثل في بناء مئات "المدارس الحرة" في كافة أرجاء الوطن، لتعليم أبناء الشعب الجزائري لغتهم الأم وقواعدها وآدابها، متحدين بذلك آلة التجهيل الاستعمارية.

وقد ترك أقطاب الجمعية تراثاً لغوياً وأدبياً رفيعاً؛ فالشيخ البشير الإبراهيمي، على سبيل المثال، يُعد من فحول البيان العربي في العصر الحديث، حيث تتميز آثاره ومقالاته بمتانة التركيب، وثراء المعجم، والقدرة الفائقة على تطويع الأساليب البلاغية القديمة للتعبير عن قضايا العصر ومقارعة الاستعمار، لقد جعل هؤلاء العلماء من اللغة العربية خندقاً للمقاومة الثقافية، وأثبتوا أن بقاء الأمة الجزائرية مرهون ببقاء لغتها[2].

### 2. سياسة التعريب وتأسيس المنظومة التربوية بعد الاستقلال

غداة الاستقلال في عام 1962، واجهت الجزائر تحدياً لغوياً هائلاً يتمثل في سيطرة اللغة الفرنسية على الإدارة والتعليم، فتصدى الرعيل الأول من اللغويين والتربويين الجزائريين لمهمة "التعريب"، وهي عملية إعادة الاعتبار للغة الوطنية وتكييفها لتستوعب العلوم الحديثة والمناهج المدرسية، وتشكلت لجان متخصصة لتعريب المصطلحات العلمية والإدارية، وأُنجزت قواميس مدرسية ومناهج تعليمية جزائرية خالصة، في خطوة سيادية حاسمة لربط الأجيال الصاعدة بجذورها الحضارية.

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، "تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع ستبق، ص 210.

[2]- عمار جطال، "**جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في خدمة اللغة العربية**"، دار الأمة، الجزائر، ص 120-122.

ورغم الصعوبات والعراقيل التي واجهت مسار التعريب، إلا أن الجهود اللغوية أثمرت عن تأسيس معاهد للغة العربية وآدابها في مختلف الجامعات الجزائرية، وعمل الباحثون على ترجمة المعارف الإنسانية والتقنية إلى لغة الضاد، معتمدين على الاشتقاق والتعريب والنحت لتوليد المصطلحات الجديدة، مما أعاد للغة العربية حيويتها وجعلها لغة تدريس وبحث علمي في مدرجات الجامعة الجزائرية بعد أن كادت تُطمس[1].

## 3.النظرية الخليلية الحديثة وتجديد اللسانيات العربية المعاصرة

في ميدان البحث الأكاديمي واللساني المعاصر، قدمت الجزائر واحداً من أهم المشاريع اللغوية في العالم العربي، وهو "النظرية الخليلية الحديثة" التي أسسها العلامة الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، وقامت هذه النظرية على إعادة قراءة التراث اللغوي العربي (وخاصة فكر الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه) قراءة لسانية حديثة ورياضية دقيقة، لإثبات أن النحاة العرب القدامى امتلكوا وعياً بنيوياً يضاهي، بل ويتفوق في جوانب كثيرة، على المدارس اللسانية الغربية الحديثة كالبنيوية والتوليدية التحويلية.

لم تكن جهود الدكتور الحاج صالح مجرد تنظير أكاديمي، بل كانت مشروعاً نهضوياً يهدف إلى التأسيس لـ "لسانيات عربية أصيلة"، وقد أحدثت هذه النظرية ثورة في طرق تحليل الخطاب وفهم التراكيب النحوية، وتم اعتمادها كمرجعية أساسية في الجامعات والمخابر اللغوية الجزائرية والعربية، مما وضع اسم الجزائر بقوة في طليعة الدول التي تقود حركة التجديد في علوم اللسانيات على المستوى العالمي[2].

## 4. المعجمية المعاصرة واللسانيات الحاسوبية في مخابر البحث الجزائرية

مع التطور التكنولوجي المتسارع، اتجهت الجهود اللغوية للعلماء الجزائريين حديثاً نحو "اللسانيات الحاسوبية" والمعالجة الآلية للغة العربية، وقد تأسست في الجامعات الجزائرية (كجامعة الجزائر، ووهران، وقسنطينة) مخابر بحث متخصصة تعمل على رقمنة التراث اللغوي، وبناء "المدونات اللغوية (Corpus) " الضخمة التي تساعد في دراسة تطور الألفاظ وإحصاء ترددتها، وهو ما يُعد اللبنة الأساسية لصناعة المعاجم الإلكترونية الحديثة.

[1]– صالح بلعيد، **"التعريب في الجزائر: واقعه وآفاقه"**، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، ص 95.

[2]– عبد الرحمن الحاج صالح، **مرجع سابق**، ص 41–43.

كما برزت إسهامات جزائرية معتبرة في مجال التخطيط اللغوي والمصطلحية، حيث شارك أكاديميون جزائريون (أمثال عبد المالك مرتاض وآخرين) في وضع المجامع اللغوية وقواميس المصطلحات الموحدة، وتُركز هذه الجهود المعاصرة على تذليل العقبات البرمجية التي تواجه اللغة العربية في الفضاء الرقمي، وابتكار خوارزميات للتحليل الصرفي والنحوي الآلي، مما يضمن ديمومة لغة الضاد وقوتها التنافسية في عصر الذكاء الاصطناعي واقتصاد المعرفة[1].

## 5. حركة الترجمة اللسانية ونقل النظريات الغربية إلى العربية

أدرك الباحثون الجزائريون المعاصرون ضرورة الانفتاح على المنجز اللساني العالمي الحديث، فنهضوا بحركة ترجمة واسعة لنقل أهم النظريات اللسانية الغربية (كالبنيوية، والتوليدية التحويلية، والتداولية، والسيميائية) إلى اللغة العربية، ولم تكن هذه الجهود مجرد نقل حرفي للنصوص، بل تطلبت جهداً استثنائياً في "تبيئة المصطلح اللساني" ونحته، حيث عكف الأكاديميون على إيجاد مقابلات عربية دقيقة لمفاهيم دي سوسير، وتشومسكي، وجاكبسون، مما أثرى المكتبة اللسانية العربية بأمهات الكتب المترجمة بأسلوب علمي رصين.

وقد لعبت هذه الترجمات دوراً حاسماً في تحديث أدوات البحث اللغوي والنقدي في الجامعات الجزائرية والعربية، فبفضل هذا الجهد، تمكن الطلبة والباحثون من تطبيق المناهج الغربية الحديثة على النصوص العربية (القرآنية، والأدبية، والشعبية)، مما فتح آفاقاً جديدة للتحليل الخطابي والأسلوبي، وأخرج الدرس اللغوي من دائرته التقليدية المغلقة إلى رحاب اللسانيات العامة والمقارنة[2].

## 6. اللسانيات الاجتماعية ودراسة التعدد اللغوي واللهجات

نظراً للفسيفساء اللغوية التي تتميز بها الجزائر (الفصحى، الدارجة، الأمازيغية، والفرنسية)، برزت جهود مكثفة لعلماء اللسانيات الجزائريين في حقل "اللسانيات الاجتماعية" ، وقد انكب الباحثون على دراسة واقع الاستعمال اللغوي في المجتمع، وحللوا ظواهر معقدة مثل "الازدواجية اللغوية " والتناوب اللغوي في التخاطب اليومي والإعلامي، وقد قدمت هذه الدراسات فهماً علمياً دقيقاً لكيفية تفاعل اللغة العربية مع اللغات واللهجات الأخرى في الفضاء العام.

---

[1]– عبد المالك مرتاض، "**قضايا المعجم العربي الحديث**"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 160.

[2]– عبد الجليل مرتاض، "**الترجمة واللسانيات: قضايا ومقاربات**"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 45–47.

من جهة أخرى، تصدى الباحثون الجزائريون لدراسة "الدارجة الجزائرية" (اللهجة المحلية) دراسة علمية تأثيلية، وقد أثبتت هذه الأبحاث بالدليل الصوتي والمعجمي أن الغالبية العظمى من مفردات التخاطب اليومي للجزائريين تعود في جذورها إلى اللغة العربية الفصحى أو إلى تطورات صرفية طبيعية لها، وكان هذا الجهد بمثابة رد علمي حاسم على الطروحات الاستعمارية القديمة التي حاولت فصل اللهجات المغاربية عن أصولها العربية لتمزيق الوحدة الثقافية[1].

## 7. تطوير اللسانيات التطبيقية وتعليمية اللغة العربية (الديداكتيك)

شكلت "تعليمية اللغة العربية" (الديداكتيك) أحد أهم محاور الجهد اللغوي المعاصر في الجزائر، استجابة لمتطلبات إصلاح المنظومة التربوية، ركز اللغويون والمربون الجزائريون أبحاثهم في مجال "اللسانيات التطبيقية" لتحديث طرق تدريس النحو والصرف والقراءة، وقد سعوا إلى تجاوز طرق التلقين والحفظ الآلي القديمة، نحو تبني "المقاربة بالكفاءات" والمقاربات النصية، التي تجعل من المتعلم محوراً للعملية التعليمية، وتربط القاعدة النحوية بالاستعمال الوظيفي للغة في مواقف الحياة المختلفة.

كما اهتمت هذه الأبحاث برصد وتحليل "الأخطاء اللغوية" (الإملائية والتركيبية) الشائعة لدى المتعلمين في الأطوار التعليمية المختلفة، وبناءً على التحليل اللساني والنفسي لهذه الأخطاء، قام الباحثون بتصميم برامج علاجية وبدائل بيداغوجية حديثة، وتأليف كتب مدرسية تعتمد على التدرج المعرفي والتشويق، مما ساهم في تيسير استيعاب اللغة العربية للناطقين بها، ووضع أسس علمية لتدريسها للناطقين بغيرها[2].

## 8. الجهود المؤسسية: المجالس العليا للمراصد اللغوية

إلى جانب الجهود الفردية والأكاديمية، تبلور الجهد اللغوي الجزائري حديثاً في إطار "مؤسساتي" رسمي، تجلى في تأسيس هيئات سيادية مثل "المجلس الأعلى للغة العربية"، تُعد هذه المؤسسة نقلة نوعية في حماية لغة الضاد وترقيتها، حيث تضم صفوة من خيرة اللغويين والباحثين الجزائريين، وتعمل هذه المجالس كمراصد لغوية تراقب سلامة استعمال العربية في الإدارات، ووسائل الإعلام، والفضاءات العمومية، وتقدم الاستشارات القانونية واللغوية لصناع القرار.

[1]– خولة طالب الإبراهيمي، **"الجزائريون ولغاتهم: مقاربة سوسيو–لسانية"**، دار القصبة للنشر، الجزائر، ص 112.

[2]– صالح بلعيد، **"دروس في اللسانيات التطبيقية"**، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، ص 74–75.

لا يقتصر دور هذه المؤسسات على الجانب الرقابي، بل يمتد إلى الإنتاج العلمي الغزير؛ حيث تتولى تمويل وإصدار القواميس المتخصصة، ومعاجم المصطلحات الموحدة (في الطب، والإدارة، والتقنية)، كما تُنظم مؤتمرات دولية وتُصدر مجلات محكمة (مثل مجلة "اللغة العربية")، وتنسق مع المجامع اللغوية العربية الأخرى لتوحيد المصطلح العلمي وتطوير برمجيات المعالجة الآلية، مما يعكس دور الجزائر القيادي في رسم السياسة اللغوية العربية المعاصرة[1].

[1]– عز الدين مجدوب، "**السياسة اللغوية في الجزائر: المسار والرهانات**"، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ص 53

## خلاصة

يؤصل الفصل الأول من المذكرة للإطار النظري والتاريخي لنشأة الدرس اللغوي وتطوره، متتبعاً في مبحثه الأول **جهود علماء المشرق العربي** من مخاض التأسيس في صدر الإسلام لمواجهة ظاهرة "اللحن" وصون القرآن، مروراً بالعصرين الأموي والعباسي اللذين شهدا قوننة النحو وصياغة المنطق اللساني بعبقرية الخليل وسيبويه وابن جني، وصولاً إلى حماية الذاكرة اللغوية في العصور المتأخرة وحركتها الموسوعية؛ لينتقل في مبحثه الثاني نحو **علماء المغرب الإسلامي والأندلس** مبرزاً استقلالهم المعرفي ونزعتهم نحو التيسير البيداغوجي ونبذ التعقيد الفلسفي عبر المنظومات التعليمية المتوارثة كالآجرومية؛ ويختتم الفصل بمبحثه الثالث مستعرضاً **الخصوصية اللغوية الجزائرية** في شقها القديم الذي رعته حواضر بجاية وتلمسان والزوايا وبلورته "المدرسة الزواوية"، وشقها الحديث والمعاصر الذي انطلق كمقاومة ثقافية ضد التجهيل الاستعماري مع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ثم تطور أكاديمياً ومؤسساتياً بعد الاستقلال ليتوج بالثورة اللسانية لـ "النظرية الخليلية الحديثة" للدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، ومشاريع اللسانيات الحاسوبية والمجلس الأعلى للغة العربية.

# الفصل الثاني: تطبيقي – جهود تواتي بن تواتي اللغوية–

## تمهيد

يشكل الدرس اللغوي التطبيقي محطة هامة لمعرفة مدى إسهام الباحثين المعاصرين في مقاربة القضايا اللغوية، وفي هذا الفصل نسلط الضوء على الجهود اللغوية للباحث والأكاديمي الجزائري الدكتور التواتي بن التواتي، لقد تميزت أعماله بالجمع بين الأصالة والمعاصرة؛ حيث انطلق من التراث اللغوي العربي الأصيل —لا سيما لغة القرآن الكريم وقراءاته— لينفتح على المناهج اللسانية الحديثة ويسقطها على اللغة العربية، وتبرز إسهاماته في ميادين عدة كالصوتيات، وعلم الدلالة، والمدارس اللسانية، مما يجعله صوتاً أكاديمياً وازناً يسعى لتجسير الهوة بين الفكر اللغوي القديم والدراسات اللسانية المعاصرة.

## المبحث الأول: جهود التواتي بن تواتي الصوتية

يعتبر المستوى الصوتي اللبنة الأولى في التحليل اللساني، وقد أولى الدكتور التواتي بن التواتي عناية خاصة بعلم الأصوات اللغوية، منطلقاً من إيمانه بأن التراث العربي —وخاصة علم التجويد والقراءات القرآنية— يحمل في طياته إرهاصات وتطبيقات علم الأصوات الحديث، في هذا المبحث، نستعرض جهوده الصوتية من خلال شقين أساسيين: إبراز العلاقة المتينة بين علم التجويد والأصوات، وعرض آرائه الصوتية الدقيقة في وصف المخارج والصفات، معتمداً على المزاوجة بين الوصف الفيزيولوجي (النطقي) القديم والمعطيات الفيزيائية (الأكوستيكية) الحديثة.

### أ- علم الأصوات والتجويد (الامتداد والتطبيق)

#### 1. التجويد بوصفه اللبنة الأولى لعلم الأصوات:

يرى التواتي بن التواتي أن علم التجويد ليس مجرد قواعد فقهية لأداء العبادة، بل هو التأسيس الفعلي والمبكر لعلم الأصوات النطقي عند العرب. لقد استطاع علماء التجويد والقراءات تقديم وصف دقيق لجهاز النطق الإنساني، وتقسيمه إلى مناطق واضحة المعالم، وهو ما يتطابق مع ما توصلت إليه اللسانيات الحديثة، ويؤكد في أبحاثه أن القارئ لا يمكنه إتقان التلاوة دون فهم دقيق لميكانيزمات إنتاج الصوت[1]، هذا الفهم الموروث عن الأئمة الأوائل يشكل مادة خصبة للدراسة الفونيتيكية التطبيقية الصارمة .

[1]– التواتي بن التواتي ، مفاهيم في علم اللسان، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.

## 2. المرجعية التراثية في الدرس الصوتي المعاصر:

ينطلق التواتي من قناعة راسخة بأن اللسانيات الحديثة لا تلغي التراث اللغوي العربي، بل تتكامل معه، في مقاربته للصوتيات، يعود باستمرار إلى متون التجويد الكبرى، معتبراً إياها المرجعية الأساسية لضبط الأداء اللغوي، فهو يستلهم من الخليل بن أحمد وسيبويه وابن الجزري مصطلحاتهم الدقيقة ويعيد قراءتها في ضوء معطيات علم الأصوات المعاصر، مشيراً إلى أن المصطلحات التراثية تمتلك دقة علمية تضاهي الترجمات الحديثة للمصطلحات الغربية[1] .

## 3. القراءات القرآنية كمدونة للتنوع الصوتي:

تُعد القراءات القرآنية المتواترة في فكر التواتي بن التواتي مدونة لغوية غنية تعكس التنوع اللهجي وتطور النظام الصوتي للغة العربية، ويحلل التواتي هذا التنوع ليس كاختلاف في النص، بل كظواهر صوتية طبيعية خضعت لقوانين لغوية، ويعالج ظواهر مثل الإمالة، والتسهيل، والإبدال، مبيناً كيف أن اختلاف القراء يمثل تنويعات سياقية لا تخل بالبنية الدلالية للنص، مما يجعل علم القراءات من أهم مصادر البحث الفونولوجي[2] .

## 4. المقاربة النطقية الدقيقة لمخارج الحروف (نموذج الحلق) :

يولي التواتي اهتماماً بالغاً للوصف التشريحي الدقيق لمخارج الحروف، وعند دراسته لمخرج "الحلق"، يوضح أنه تجويف وفراغ رئيسي يضخم الأصوات بعد صدورها من الحنجرة، ويبلغ طوله حوالي 12 سم، ويشير بدقة إلى "وسط الحلق" الذي يخرج منه حرفا (العين) و(الحاء المهملتان)، وينقل عن العلماء: "لولا في الحاء بحة وفي العين بعة لخرجتا بصوت واحد"، مبيناً أن العين تخرج من وسط الحلق ولكنها أقرب من الحاء من جهة الحلق[3] .

## 5. الظواهر الصوتية التركيبية وميكانيزمات الإدغام:

عند دراسته لظاهرة الإدغام والقلب والإبدال، يتجاوز التواتي الوصف المعياري إلى التحليل اللساني التفسيري، فهو يرى أن هذه الظواهر هي وسائل لغايات غرضها تحقيق الانسجام العضلي وتجنب التنافر .

---

[1]– التواتي بن التواتي ، المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، مرجع سابق، ص 7.

[2]– التواتي بن التواتي ، مفاهيم في علم اللسان، مرجع سابق.

[3]– المرجع نفسه، ص 135.

ويشرح كيف تذوب صفات الحرف المدغم في المدغم فيه، مقدماً تحليلاً فيزيولوجياً لحركة اللسان وكيفية تكيّفه السريع بين مخرجين متقاربين، ومؤكداً اعتناء علماء القراءات بهذه الظواهر لتجويد التلاوة[1] .

### 6. التلقين والمشافهة: الجانب العملي والتباين الأدائي

لا يكتفي التواتي بالجانب النظري، بل يشدد على أن علم الأصوات التجويدي لا يكتمل إلا بـ "المشافهة" والتلقين، فالأصوات اللغوية تظل بحاجة إلى أذن واعية وجهاز نطق مدرب، ويشير إلى أن الأداء يختلف بين الأقطار والجماعات وحتى لدى الفرد الواحد الذي قد يغير طريقة نطقه بحسب حالته النفسية والفيزيولوجية لحظة الأداء، مما يؤكد الطبيعة الحية للصوت الإنساني[2] .

### 7. الصفات العارضة واللازمة للحروف

يقوم التواتي بعملية مقارنة معمقة بين تقسيم علماء التجويد للصفات إلى لازمة وعارضة، وبين المفاهيم اللسانية المعاصرة، ويرى أن هذا التقسيم ينم عن وعي مبكر بطبيعة الصوت المجرد والصوت في السياق، فالصفات اللازمة تمثل الخصائص المميزة للصوت، بينما الصفات العارضة كالتفخيم تمثل الخصائص السياقية التي تتأثر بمجاورة الحروف صعوداً وهبوطاً في جهاز النطق[3] .

### 8. الوقف والابتداء وأثرهما الإيقاعي

ينظر التواتي إلى "الوقف والابتداء" على أنه يتجاوز كونه قاعدة دلالية ونحوية، ليكون عنصراً أساسياً في بناء "الإيقاع الصوتي" وتنغيم الجملة، فالوقف يمنح القارئ فرصة لتجديد الهواء ويخلق فواصل إيقاعية، ويشير إلى أن دراسة المقاطع الصوتية في القرآن لا تستقيم إلا بفهم ضوابط الوقف، حيث يؤدي التغير في موضع الوقف إلى تغير النبرة الصوتية، وبالتالي تذبذب المعنى[4] .

### 9. المجهود النطقي وقانون التيسير في أحكام التلاوة

يفسر التواتي أحكام التجويد من خلال مبدأ لساني عالمي هو "قانون الجهد الأدنى"، فالإخفاء، والقلب، والرَّوْم كلها آليات صوتية ابتكرتها السليقة لتسهيل الانتقال بين الأصوات المتنافرة، ويحلل هذه العمليات

[1]– التواتي بن التواتي ، مفاهيم في علم اللسان، مرجع سابق، ص91.

[2]– المرجع نفسه، ص 92.

[3]– المرجع نفسه، ص93.

[4]– المرجع نفسه، ص94.

كتعليق جزئي لحركة اللسان مع الإبقاء على ميزات أخرى كالغنة، مما يقلل من الجهد العضلي المطلوب للانتقال إلى الحرف الموالي .

### 10. الدفاع عن أصالة الدرس الصوتي العربي والمدرسة الخليلية

تصدى التواتي بقوة للمقاربات التي حاولت التقليل من أصالة الدرس الصوتي العربي، وقد دافع عن "المدرسة الخليلية" مؤكداً أنها نمت وترعرعت في التراث العربي الأصيل، وأن الخليل بن أحمد أثبت وجود مفاهيم لسانية رائدة تفوق ما عند الغير، ويؤكد بثقة أن رواد هذه المدرسة لا يقلون شأناً عن علماء اللسانيات الغربيين أمثال مارتينيه وتشومسكي، وأن وعيهم الصوتي نبع من حاجة داخلية محضة[1] .

## ب- آراؤه الصوتية (في التنظير واللسانيات العامة)

### 1.التصنيف الفيزيولوجي الدقيق للأصوات:

أولى التواتي اهتماماً كبيراً بوصف الميكانيزمات العضوية لإنتاج الصوت اللغوي، مفصلاً القول في وظائف أعضاء النطق ابتداءً من الرئتين والحنجرة وصولاً إلى الشفتين والتجويف الأنفي، وتتميز آراؤه بربطها المستمر بين المادة الصوتية المسموعة والعضو المنتج لها، متبنياً التقسيم الكلاسيكي للمخارج مع إضفاء دقة تشريحية تقرب المادة لدارسي اللسانيات في العصر الحديث[2].

### 2. المقاربة الفيزيائية (الأكوستيكية) للأصوات وترددها

لم يكتفِ التواتي بالوصف النطقي، بل انفتح على علم الأصوات الفيزيائي بدقة رقمية، فقد ناقش المفاهيم المتعلقة بتردد الصوت والذبذبات والموجات الصوتية التي تنتقل في الهواء، ويشير إلى الفوارق الفيزيائية الملموسة في الأداء الصوتي، موضحاً أن تردد الصوت "يتراوح في الغناء بين 60 ذبذبة في الثانية ومئات الذبذبات، ولكنه في الكلام البين الواضح لا يكاد يتجاوز الذبذبات مائتين أو ما يقرب من هذا[3] ."

[1]– التواتي بن تواتي، المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، مرجع سابق، ص 89.

[2]– التواتي بن التواتي ، مفاهيم في علم اللسان، مرجع سابق، ص95.

[3]– التواتي بن التواتي ، مفاهيم في علم اللسان، مرجع سابق، ص 137، 145.

### 3. التمييز الدقيق بين الصوائت والصوامت

عالج التواتي إشكالية تصنيف الحروف العربية، مركزاً على التمييز الأساسي بين الصوامت التي يعترض مجرى هوائها عائق، والصوائت (الحركات وحروف المد) التي يمر هوائها بحرية، وقد ناقش طبيعة حروف العلة، منتصراً للرأي القائل بأن الحركة القصيرة هي الجزء الصوتي الأساسي، وأن المد ما هو إلا إطالة في زمن نطق هذه الحركة.

### 4. المقطع الصوتي وقوانين توزيعه

يُعد المقطع الصوتي من المباحث الهامة في آراء التواتي، حيث يبين أن اللغة العربية تخضع لنظام مقطعي صارم لا يسمح بالبدء بساكن ولا الوقوف على متحرك، ويحلل البُنى المقطعية (القصيرة والطويلة، المفتوحة والمغلقة)، مبيناً أثر هذا النظام في تحديد الإيقاع العام للغة العربية وفي صياغة قوانين العروض الشعري.

### 5. النبر والتنغيم (الظواهر فوق المقطعية )

يدرك التواتي أهمية الظواهر الصوتية غير التركيبية، وعلى رأسها النبر والتنغيم، ويؤكد أن إعطاء قوة إضافية لمقطع معين (النبر)، أو تغيير مسار اللحن الصوتي، يوجه الدلالة بقوة، ويشير في أبحاثه إلى أن النبر في الكلمة العربية يسير من مؤخرة الكلمة نحو مقدمتها، حتى يقابل مقطعاً طويلاً فيقف عنده، وإذا لم يكن فيها مقطع طويل فإن النبر يقع على المقطع الأول .

### 6. التفاعل مع نظرية "الفونيم ":

ناقش التواتي مفهوم "الفونيم" كأصغر وحدة صوتية مجردة قادرة على تمييز المعنى، وبيّن أن علماء العربية القدماء أدركوا وظيفته الدلالية من خلال التباين اللفظي، كما تطرق للألوفون (التنويع النطقي)، موضحاً أن التغير في صفة الحرف النطقية الذي لا يغير المعنى الأساسي للكلمة هو تجسيد حي لهذه النظرية اللسانية الحديثة في لغة الضاد[1] .

[1]– التواتي بن التواتي. مفاهيم في علم اللسان، مرجع سابق، ص98.

### 7. التطور الصوتي التاريخي للغة العربية:

ينظر التواتي إلى اللغة العربية ككائن متطور صوتياً، ويتتبع تاريخ بعض الأصوات التي طالها التغيير عبر الزمن نتيجة الاحتكاك وتطور جهاز النطق البشري، ويربط هذا التطور بعوامل الجوار الجغرافي والظروف التاريخية، داعياً إلى دراسة التطور الصوتي برؤية موضوعية علمية[1] .

### 8. أثر اللهجات والازدواجية اللغوية:

يعالج التواتي الصراع والتأثير المتبادل بين الفصحى واللهجات العامية في المستوى الصوتي، ملاحظاً ظواهر التسكين الدائم وتغير مخارج بعض الحروف في التداول اليومي، ويرى أن هذه التغيرات الصوتية تؤثر بشكل مباشر على الفصحى، مما يستوجب وعياً بيداغوجياً يعتمد على التدريب الصوتي لعلاج الانحرافات النطقية[2] .

### 9. المزاوجة بين المنهج الوصفي والمعياري:

تتميز آراء التواتي بوقوفها في منطقة وسطى بين صرامة المنهج المعياري ومرونة المنهج الوصفي الحديث المعتمد في اللسانيات، فهو يرى وجوب الاستفادة من المنهج الوصفي لتحليل الواقع اللغوي المنطوق، دون الاستغناء عن المنهج المعياري لضبط الأداء الفصيح حمايةً للنص القرآني واللغوي الأصيل [3].

### 10. المصطلح الصوتي بين الأصالة والتعريب:

ساهم التواتي في إثراء النقاش حول المصطلح الصوتي، داعياً للاعتماد على المصطلحات التراثية الموروثة متى ما كانت دقيقة، مفضلاً إياها على الترجمات الغامضة، وفي الحالات التي تقتضي ترجمة مصطلحات حديثة متعلقة بالمعامل الصوتية، يشدد على اشتقاق مصطلحات توافق البنية الصرفية للغة العربية حفاظاً على هويتها المعرفية [4].

---

[1]–المرجع نفسه، ص99.

[2] – التواتي بن التواتي، مفاهيم في علم اللسان، مرجع سابق.

[3]– التواتي بن التواتي، المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث،مرجع سابق.

[4]– التواتي بن التواتي، مفاهيم في علم اللسان،مرجع سابق.

## المبحث الثاني: جهود التواتي بن تواتي الصرفية وآراؤه الصرفية

### أ- جهود التواتي بن التواتي الصرفية (الامتداد والتطبيق)

**1. التأسيس لمفهوم "الصرف" بين القدماء والمحدثين:**

ينطلق التواتي بن التواتي في مقاربته للصرف العربي من تحرير المفهوم وتأصيله؛ حيث يتتبع تطور مصطلح "التصريف" عند النحاة الأوائل كسيبويه وابن جني، مبيناً كيف كان الصرف مندمجاً مع النحو قبل أن يستقل كعلم قائم بذاته يعنى ببنية الكلمة المفردة وما يعتريها من تغيير، ويبرز في جهوده كيف أن التعريف التراثي للصرف بأنه "تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة لمعانٍ مقصودة" يتقاطع بشكل دقيق مع مفهومه في اللسانيات المعاصرة، مؤكداً أن العقل العربي امتلك وعياً مبكراً باستقلالية المستوى الصرفي عن المستوى التركيبي[1] .

**2. دراسة أوزان الفعل وتطورها الدلالي:**

يولي التواتي عناية خاصة بدراسة "الميزان الصرفي"، معتبراً إياه أدق آلة قياس ابتكرها العقل اللغوي لضبط أبنية الكلمات، وقد خصص حيزاً هاماً لتحليل أوزان الفعل الثلاثي والرباعي (المجرد والمزيد)، مبيناً أن الزيادة في المبنى ليست اعتباطية بل هي خاضعة لقانون "الزيادة في المبنى تدل على الزيادة في المعنى"، ويحلل دلالات صيغ الزيادة (كالمطاوعة في "انفعل"، والمشاركة في "فاعل"، والطلب في "استفعل")، مشيراً إلى أن هذا النظام الصرفي الدقيق يمنح اللغة العربية طواعية واقتصاداً لغوياً هائلاً، حيث يغني عن استخدام تراكيب طويلة للتعبير عن معانٍ يمكن تكثيفها في صيغة صرفية واحدة[2] .

**3. الاشتقاق وآلياته في توليد المعجم:**

يعتبر الاشتقاق في نظر التواتي القلب النابض للنظام الصرفي العربي. وقد تتبع في أبحاثه أنواع الاشتقاق (الصغير، الكبير، والأكبر)، موضحاً كيف تتناسل الكلمات من أرومة واحدة (الجذر) لتحافظ على خيط دلالي مشترك يربط بين جميع مشتقاتها، ويؤكد أن الاشتقاق ليس مجرد عملية تاريخية تهم فقه

[1]– التواتي بن التواتي ، مفاهيم في علم اللسان، مرجع سابق، ص 105.

[2]– التواتي بن التواتي ، مباحث في فقه اللغة العربية، دار الوعي، الجزائر، 2010، ص 62.

اللغة، بل هو آلية حية وفعالة يجب استثمارها في العصر الحديث لاستيعاب المصطلحات العلمية والتقنية، مما يجعله أداة رئيسية في حركة التعريب والتوليد المعجمي التي تضمن حيوية اللغة[1] .

**4. التمييز بين التصريف والاشتقاق من الجهود الدقيقة:**

للتواتي إبرازه للحدود الفاصلة بين عملية "الاشتقاق " التي تهدف إلى توليد كلمات جديدة بمعانٍ معجمية مختلفة، وعملية "التصريف " التي تقتصر على تغيير صيغة الكلمة لأداء وظيفة نحوية كالتثنية والجمع والتذكير والتأنيث، هذا التمييز، الذي يقابله في اللسانيات الحديثة التفريق بين Derivational) (Morphologyو Inflectional Morphology)، يبرهن من خلاله التواتي على عمق المنهجية التراثية وقابليتها للوصف والتصنيف وفق أحدث المعايير اللسانية [2].

5. المورفوفونولوجيا (التداخل بين الصوت والصرف):

لم يدرس التواتي الصرف بمعزل عن الأصوات، بل سلط الضوء على منطقة التداخل بينهما، وهو ما يُعرف حديثاً بـ "المورفوفونولوجيا "، وقد تجلى ذلك في دراسته المعمقة لظواهر الإعلال، والإبدال، والإدغام، فهو يفسر التغيرات التي تطرأ على بنية الكلمة (كقلب الواو ألفاً في "قال") بأنها حتمية صوتية اقتضاها التجاور والتأثر المتبادل بين الأصوات، مما يؤكد أن القواعد الصرفية في العربية مبررة فونيتيكياً وتخضع لقانون التيسير النطقي[3].

**6. دراسة أبنية الأسماء والمصادر إلى جانب الأفعال:**

استقصى التواتي أبنية الأسماء في العربية، مميزاً بين الجامد والمشتق، ومفصلاً القول في صياغة المصادر القياسية والسماعية، واسم الفاعل، واسم المفعول، وصيغ المبالغة، واسم التفضيل، ويربط في تحليله بين الصيغة الصرفية للاسم ووظيفته الدلالية والنحوية في الجملة، مبيناً أن استيعاب المتعلم لضوابط صياغة المشتقات هو المفتاح لامتلاك ناصية التعبير الدقيق وتجنب اللحن البنيوي[4] .

[1]– التواتي بن التواتي ، مفاهيم في علم اللسان، مرجع سابق، ص 112.

[2]– التواتي بن التواتي ، المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، مرجع سابق.

[3]– التواتي بن التواتي ، مفاهيم في علم اللسان، الجزائر، مرجغع ستابق، ص 142.

[4]– التواتي بن التواتي ، مباحث في فقه اللغة العربية، مرجع سابق.

### 7. ظاهرة الشذوذ الصرفي والقياس:

واجه التواتي إشكالية "الشذوذ الصرفي" برؤية موضوعية؛ فهو يرى أن الكلمات التي خرجت عن القياس الصرفي المطرد ليست خللاً في النظام اللغوي، بل هي بقايا لمراحل تاريخية قديمة من تطور اللغة، أو استثناءات فرضتها كثرة الاستعمال، ويدافع عن مبدأ "القياس" كأصل في الدراسات الصرفية، معتبراً إياه المعيار الذي تُقاس عليه صحة البُنى، مع ضرورة احترام المسموع عن العرب والتعامل معه كحقيقة لغوية (Fact)تسجل ولا يُقاس عليها لتجنب فوضى التوليد[1] .

### 8. تيسير الصرف التعليمي:

انطلاقاً من خبرته الأكاديمية والبيداغوجية، بذل التواتي جهوداً كبيرة في "تيسير" المادة الصرفية للطلبة والمتعلمين، منتقداً الحشو والتعقيد الذي طال بعض المتون الصرفية القديمة التي أفرطت في الافتراضات الذهنية والتمارين الشكلية، ويدعو إلى منهجية تعليمية تركز على الوظيفة الدلالية للصيغ الصرفية وتطبيقاتها الحية في النصوص الأدبية والقرآنية، بدلاً من إغراق المتعلم في شواذ المسائل وخلافات الصرفيين البصرية والكوفية التي لا طائل تحتها في الاستعمال المعاصر[2] .

### 9. الدفاع عن عبقرية التصريف العربي:

تصدى التواتي في مباحثه الصرفية للمزاعم الاستشراقية التي وصفت اللغة العربية بالجمود وتعقيد البنية. وقد أثبت بالتحليل الرياضي الصارم لـ "الجذر والوزن" أن نظام التصريف العربي هو من أرقى الأنظمة اللغوية اقتصاداً ومرونة، وبيّن أن قدرة الجذر الثلاثي على توليد مئات الصيغ ذات المعاني المترابطة رياضياً، هي دليل على عبقرية هذه اللغة وقابليتها غير المحدودة للتطور والتكيف مع المستجدات الحضارية والعلمية[3] .

### 10. تحقيق التراث الصرفي:

لم تقتصر جهود التواتي على التنظير، بل امتدت إلى التحقيق وقراءة التراث الصرفي المخطوط والمطبوع بروح نقدية، فقد عمل على نفض الغبار عن جهود علماء المغرب العربي والجزائر في التأليف

[1]– التواتي بن التواتي ، مفاهيم في علم اللسان، مرجع سابق

[2]– التواتي بن تواتي، المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، مرجع سابق، ص 115.

[3]– التواتي بن التواتي ، مباحث في فقه اللغة العربية، مرجع سابق، ص 134.

الصرفي، ويبرز من خلال تحليلاته أن العلماء المغاربة تميزوا بتبسيط العبارة الصرفية وتوجيهها نحو الجانب التطبيقي التعليمي، وهو ما يعكس اهتمام التواتي بربط الدرس الأكاديمي المعاصر بجذوره التراثية المحلية[1] .

**ب- آراؤه الصرفية (في التنظير واللسانيات العامة)**

1. **نظرية المورفيم** : في ميزان العربية تُعد مقاربته لمفهوم "المورفيم" (أصغر وحدة لغوية تحمل معنى) من أهم آرائه اللسانية الحديثة، ويرى التواتي أن الصرفيين العرب القدماء أدركوا جوهر هذه النظرية عندما قسموا الكلمة إلى أحرف أصلية (تمثل المورفيم المعجمي/الجذر) وأحرف زائدة (تمثل المورفيم النحوي/الصيغة)، ويؤكد أن المزاوجة بين مفهوم "الوزن" التراثي ومفهوم "المورفيم" الحديث يقدم أداة تحليلية قوية لفهم كيفية تشكل المعنى في اللغة العربية، متجاوزاً بذلك القصور في بعض النظريات الغربية التي صُممت للغات الهندو–أوروبية ذات الطبيعة الإلصاقية[2] .

2. **المورفيمات الحرة والمقيدة في النسق العربي:**

في تحليله البنيوي، يفصل التواتي القول في تصنيف المورفيمات إلى "حرة" (يمكن أن تستقل بنفسها في النطق كالضمائر المنفصلة وحروف المعاني) و"مقيدة" (لا تظهر إلا ملتصقة بغيرها كالسوابق واللواحق وحروف المضارعة (ويشير إلى أن اللغة العربية تتميز بكثافة المورفيمات المقيدة، خاصة "المورفيمات الداخلية" (تغير حركات البنية الداخلية للكلمة كجمع التكسير)، وهو ما يمنحها سمة "اللغة الاشتقاقية التصريفية" بامتياز، بخلاف اللغات التي تعتمد كلياً على الإلصاق الخارجي[3] .

3. **التحليل الصرفي المقطعي:**

يتبنى التواتي رأياً متقدماً في منهجية "التحليل المورفولوجي" للكلمة العربية، فهو يرفض التحليل السطحي الذي يكتفي بذكر الوزن، ويدعو إلى تفكيك الكلمة إلى مكوناتها الصرفية الدقيقة وتحديد الوظيفة الدلالية أو النحوية لكل مكون، على سبيل المثال، يرى أن تحليل كلمة مثل "يَسْتَخْرِجُونَ" يجب أن يمر

[1]– التواتي بن التواتي، (مجموعة مقالات في المجلات الأكاديمية الجزائرية حول التراث اللغوي.

[2]– التواتي بن التواتي، مفاهيم في علم اللسان، مرجع سابق، ص 120.

[3]– التواتي بن التواتي، المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، مرجع سابق

ببيان مورفيم المضارعة (ي)، ومورفيم الطلب (ست)، والمورفيم المعجمي الجذر (خرج)، ومورفيم الجمع (ون)، مما يعكس وعياً بنيوياً عميقاً يضاهي التحليل اللساني الوصفي الحديث[1] .

**4. نقد التقسيم الثلاثي للكلمة من منظور صرفي:**

يناقش التواتي التقسيم الكلاسيكي للكلمة (اسم، فعل، حرف) من زاوية صرفية لسانية، ويرى أن هذا التقسيم، وإن كان عملياً ومستقراً، إلا أنه يخفي بعض التعقيدات المورفولوجية لبعض الفئات كالضمائر وأسماء الأفعال والخوالف، ويستعرض آراء اللسانيين المحدثين الذين يقترحون تصنيفات مبنية على الخصائص الصرفية البحتة (كالكلمات القابلة للتصريف والكلمات غير القابلة للتصريف)، معتبراً أن الانفتاح على هذه التصنيفات يثري الدرس اللغوي العربي ولا يهدد ثوابته[2] .

**5. المنهج التاريخي في دراسة الصرف:**

يرى التواتي أن الصرف الوصفي التزامني لا يكفي وحده لتفسير كل الظواهر، ويؤيد بشدة استخدام المنهج التاريخي لفهم تطور الأبنية الصرفية، فردّ الكلمة إلى أصلها التاريخي ومقارنتها بنظيراتها في اللغات السامية الأخرى (كالسريانية والعبرية) يكشف، في رأيه، عن القوانين الكلية التي خضعت لها اللغة العربية في تطورها، ويفسر الكثير من البنى التي تبدو شاذة أو غير قياسية في الاستعمال المعاصر[3] .

**6. الصرف التوليدي والمقاربة التشومسكية:**

تفاعل التواتي مع معطيات اللسانيات التوليدية التحويلية لـ "نعوم تشومسكي"، وناقش إمكانية تطبيق آلياتها على الصرف العربي، ويرى أن فكرة "البنية العميقة" و"البنية السطحية" تجد لها صدى قوياً في المبحث الصرفي التراثي، فقول الصرفيين إن أصل (قال) هو (قَوَلَ) تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقُلبت ألفاً، هو في نظر التواتي تطبيق عملي مبكر لقواعد "التحويل" التي تنقل الكلمة من بنيتها العميقة المجردة إلى بنيتها السطحية المنطوقة[4] .

---

[1]– التواتي بن الأغواط، التواتي ، مفاهيم في علم اللسان، مرجع سابق

[2]– التواتي بن التواتي، المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، مرجع سابق، ص 94.

[3]– التواتي بن التواتي، مباحث في فقه اللغة العربية، مرجع سابق

[4]– التواتي بن التواتي، المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، مرجع سابق

### 7. الاقتصاد اللغوي في بنية الكلمة العربية:

يُعد مبدأ "الاقتصاد اللغوي" من المرتكزات الأساسية في رؤية التواتي للصرف العربي، فهو يؤكد أن قوانين الحذف، والإعلال، والإدغام، وبناء الأفعال للمجهول (بتغيير الحركات فقط دون إضافة كلمات مساعدة)، هي تجليات لهذا المبدأ، ويشير إلى أن النظام الصرفي العربي يميل دائماً إلى اختزال الجهد العضلي والزمني في النطق إلى الحد الأدنى الذي لا يخل بالوضوح الدلالي، مما يفسر صمود هذا النظام عبر القرون وعدم تعرضه للاندثار [1].

### 8. الازدواجية اللغوية وأثرها على البنية الصرفية:

ينظر التواتي بقلق علمي إلى تأثير اللهجات العامية على البنية الصرفية للفصحى في التداول المعاصر، ويلاحظ التغيرات المورفولوجية التي طرأت في العامية مثل توحيد صيغ الجمع، وإلغاء المثنى في الأفعال، وتسكين أواخر الكلمات، ويرى أن دراسة هذه التغيرات يجب أن تكون ميدانية ولسانية بغرض فهم آليات انحراف السليقة، ومن ثم وضع مناهج تعليمية وتصحيحية تعيد للمتعلم قدرته على توليد الصيغ الفصحى السليمة بشكل آلي[2] .

### 9. أثر المعنى في توجيه القاعدة الصرفية:

يرفض التواتي النظرة الشكلية الصارمة التي تجرد الصرف من المعنى (كما تفعل بعض المدارس البنيوية المتطرفة)، ويؤكد في آرائه أن "المبنى خادم للمعنى"، وأن التغيرات الصرفية في العربية مشروطة بدلالات مقصودة، ويستدل على ذلك باختلاف صيغ الجموع (جمع القلة وجمع الكثرة)، واختلاف المصادر للفعل الواحد باختلاف المعنى المراد، مما يثبت التلاحم العضوي بين علم الصرف وعلم الدلالة في الفكر اللغوي العربي [3].

### 10. المصطلح الصرفي بين الترجمة والتأصيل في مجال المصطلح:

يتبنى التواتي موقفاً حازماً يدعو إلى تأصيل المصطلح الصرفي واللساني، فهو يرى أن التراث العربي يزخر بمصطلحات دقيقة (كالصيغة، البناء، الإعلال، الوزن) قادرة على استيعاب المفاهيم اللسانية

[1]– التواتي بن التواتي، مفاهيم في علم اللسان، مرجع سابق

[2]– التواتي بن التواتي، (مقالات مباحث في علم اللغة).

[3]– التواتي بن التواتي ، مفاهيم في علم اللسانن مرجع سابق

الغربية، ويحذر من الترجمة الحرفية العشوائية التي تخلق فوضى مصطلحية لدى الطلبة والباحثين، داعياً المجامع اللغوية والمؤسسات الأكاديمية الجزائرية والعربية إلى توحيد الجهود لضبط الجهاز المفاهيمي اللساني والصرفي[1] .

[1]– التواتي بن التواتي، المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، مرجع سابق.

## المبحث الثالث: جهود التواتي بن التواتي النحوية

### 1/- مقدمة تأسيسية في فلسفة اللغة العربية وتطور جهازها المفاهيمي

تعد اللغة العربية من أعمق اللغات الإنسانية وأكثرها ثراءً من حيث البنية التركيبية والتنظيم المنهجي الدقيق لقواعدها التي استقرت عبر قرون من الزمن، ولم تكن هذه المنظومة اللغوية المحكمة لتصمد في وجه التحولات التاريخية والاجتماعية المتسارعة، وتتجاوز تحديات الاختلاط الثقافي واللساني، لولا تأسيس جهاز مفاهيمي وعلمي صارم يحميها من التصدع والانحلال، لقد مر الدرس النحوي العربي بمراحل متدرجة ومتأنية، بدأت بالملاحظة العفوية للظواهر اللغوية، ثم انتقلت إلى التقعيد التطبيقي والوصفي، وصولاً إلى مرحلة متقدمة من التنظير الفلسفي والإبستمولوجي لما عُرف لاحقاً في الأوساط العلمية بـ "علم أصول النحو"، إن هذا التطور العميق لم يكن معزولاً عن الحراك العلمي الشامل الذي شهدته الحضارة الإسلامية في عصور ازدهارها، بل كان متوازياً ومتقاطعاً عضوياً مع علوم الشريعة الإسلامية، حيث تبادل معها المناهج، واستعار منها الأدوات، ووظف مصطلحاتها لخدمة النص المقدس وحماية لغته.

يأتي هذا التقرير البحثي المفصل والمستفيض ليحيط إحاطة شاملة ودقيقة بعلم أصول النحو من زواياه المتعددة، حيث يشرّح ماهية هذا العلم وتعريفه الدقيق، مبيناً الفروق الجوهرية والمنهجية بينه وبين علم النحو التطبيقي، ويتتبع الإرهاصات التاريخية لنشأته، والوقوف على أبرز الأعلام والرواد الذين تركوا بصماتهم الخالدة فيه قديماً وحديثاً، كما يتعمق التحليل في استجلاء العلاقة العضوية والتداخل المعرفي الوثيق بين أصول النحو والعلوم الشرعية، ولا سيما علم الفقه وأصول الفقه وعلم الحديث، ويتوج هذا التقرير مساره التحليلي بقراءة نقدية واستقرائية معمقة لجهود أحد أبرز أعلام اللسانيات والدراسات النحوية في الجزائر والعالم العربي، الأستاذ الدكتور تواتي بن تواتي، مع تفكيك كتابه المرجعي الفذ "محاضرات في أصول النحو"، مبرزاً قيمته العلمية والأكاديمية، ومستنداً إلى تهميش دقيق من صفحات الكتاب ذاته لضمان أعلى درجات الموثوقية الأكاديمية والتوثيق المنهجي.

#### أ- التعريف بعلم أصول النحو (لغة واصطلاحاً)

إن الولوج إلى أي حقل معرفي يقتضي بالضرورة تفكيك جهازه المصطلحي للوقوف على دلالاته العميقة في الاستعمال اللغوي والاصطلاحي، وقد أولى الدارسون اهتماماً بالغاً بتفكيك المركب الإضافي "أصول النحو" لاستنباط ماهيته.

يتكون هذا المصطلح من شقين دلاليين: الأول هو "الأصول"، وهو جمع أصل، ويُقصد به في لسان العرب ما يُبنى عليه غيره، سواء كان هذا البناء حسياً ملموساً كبناء الجدار على أساسه، أو كان بناءً معنوياً عقلياً كبناء الأحكام على الأدلة والبراهين، فالأصل هو أسفل الشيء ومبدؤه الذي يتفرع منه غيره. أما الشق الثاني فهو "النحو"، والذي تتعدد دلالاته المعجمية لتشمل: القصد، الجهة، المِثْل والشبه، المقدار، القسم، والبعض، وهذا التعدد الدلالي يعكس مرونة المادة اللغوية العربية وقابليتها للاتساع، غير أن المعنى الأقرب للتوظيف العلمي هو "القصد" و"المثل"، أي أن المتكلم يقصد أن يتكلم بمثل كلام العرب الفصحاء، متتبعاً سمتهم وطريقتهم في التعبير.

وعلى المستوى الاصطلاحي، تتجلى ضرورة التمييز الدقيق بين "النحو" كعلم تطبيقي وصفي، وبين "أصول النحو" كعلم نظري استدلالي، فقد عرف القدماء علم النحو بأنه علم استُخرج من استقراء كلام العرب ليحذو المتكلم حذوهم، وقد كان هذا المفهوم في مراحله الأولى متسعاً ليشمل علم الصرف أيضاً.

ولعل من أجمع التعاريف وأدلها على الغاية ما صاغه أبو الفتح عثمان بن جني، حيث يرى أن النحو هو: "انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره... ليلحق من ليس من أهل العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق نطقهم وإن لم يكن منهم ."أما في الدراسات اللسانية الحديثة، وكما يشير إليه الدكتور عبده الراجحي، فإن النحو يُعرف بأنه العلم الذي يدرس الكلمات في علاقتها ببعضها البعض داخل الجملة لتؤدي وظيفة دلالية وتركيبية معينة، وهو ما يختلف جذرياً عن الصرف الذي يعنى بدراسة بنية الكلمة المفردة معزولة عن سياقها التركيبي .بناءً على ذلك، يظل النحو علماً يستهدف الحفاظ على اللغة من الانحراف واللحن، ويسعى لتقويم اللسان[1].

في المقابل، يتخذ "علم أصول النحو" مساراً تنظيرياً مجرداً؛ فهو العلم الذي يبحث في أدلة النحو الإجمالية من حيث هي أدلته، وكيفية الاستدلال بها، وحال المستدل، ويمكن تعريفه اصطلاحاً بأنه علم محدد المبادئ والأهداف والإجراءات المنهجية، يدرس المدونة اللغوية العربية من حيث شروط القبول والصحة والتجديد، بهدف ضمان استقامة النحو العربي ذاته، إنه يمثل المعرفة الإبستمولوجية الفوقية التي تتأسس عليها القاعدة النحوية، ليبقى النحو محافظاً على المنوال الصحيح القائم على الشاهد اللغوي الموثوق، وتتبني أدلة هذا العلم على أسس كبرى تتمثل في السماع، والقياس، والإجماع، واستصحاب

[1]– التواتي بن تواتي، محاضرات في اصول النحو، دار الوعي للنشر والتوزيع، ط1 ، الجزائر، 2010، ص26.

الحال، وبذلك، فإن أصول النحو تدرس المنطلقات العقلية والنقلية التي شرعت للنحوي أن يبني عليها استنتاجاته.

**ب- الحدود الفاصلة والمقاربات المنهجية: الفرق بين علم النحو وعلم أصول النحو**

على الرغم من أن العلمين يشتركان في المادة الأساسية وهي "اللغة العربية"، وينتميان إلى حقل الدراسات اللسانية ذاته، إلا أن زاوية النظر، وطبيعة الموضوع، والغاية المرجوة تختلف اختلافاً جذرياً بينهما، ويبرز هذا الفرق بوضوح في التشبيه العبقري الذي صاغه الإمام جلال الدين السيوطي في مصنفه الرائد "الاقتراح في أصول النحو"، حيث قرر أن نسبة "أصول النحو" إلى "النحو" هي تماماً كنسبة "أصول الفقه" إلى "الفقه"، هذا القياس التمثيلي يكشف عن الطبيعة المعيارية الحاكمة لعلم الأصول مقارنة بالطبيعة التطبيقية لعلم النحو.

تأسيساً على هذا التحليل، يمكن القول إن النحوي هو الممارس الذي يُعمل القاعدة ليضبط أواخر الكلم ويصوب التراكيب، بينما الأصولي النحوي هو الفيلسوف المنظر الذي يطرح الأسئلة الكبرى: "من أين استمددنا هذه القاعدة؟ وما مدى صحة وقوة الشاهد اللغوي الذي بُنيت عليه؟ وهل يمكن قياس حالة لغوية جديدة ومستحدثة عليها؟"، إن أصول النحو هي الدستور الحاكم، والنحو هو القوانين التطبيقية المنبثقة عنه[1].

**ج- الإرهاصات التاريخية ودوافع نشأة علم أصول النحو**

لم يبرز علم أصول النحو إلى الوجود دفعة واحدة كعلم مستقل ذي مصنفات خاصة ومستقلة في بدايات عصر التدوين اللغوي، بل إن مباحثه كانت مندمجة ومتوارية في ثنايا الكتب النحوية المبكرة، وإن العودة إلى الجذور التاريخية وتفكيك السياقات الثقافية والاجتماعية تكشف عن مجموعة من الدوافع العميقة والعوامل الحاسمة التي حتمت ظهور هذا العلم وتبلوره.

تتفرع أسباب نشأة النحو وأصوله إلى تضافر مجموعة من العوامل القوية، لعل أهمها العامل الديني العَقَدي، فقد كان الحرص الشديد على أداء نصوص الذكر الحكيم (القرآن الكريم) أداءً فصيحاً وسليماً هو المحرك الأول والمحفز الأساسي، ومع اتساع رقعة الدولة الإسلامية واختلاط العرب الفاتحين بغيرهم من الأمم ذات الألسن المختلفة، ظهر ما يُعرف بـ "اللحن"، وهو الخطأ والانحراف في النطق والإعراب. وقد

[1]- التواتي بن تواتي، محاضرات في اصول النحو، دار الوعي للنشر والتوزيع، ط1 ، الجزائر، 2010، ص29- 54.

وصل هذا اللحن إلى قراءة القرآن الكريم، مما شكل تهديداً مباشراً لسلامة النص المقدس، وكان هذا التهديد دافعاً وجودياً لعلماء الأمة للبدء في تقعيد النحو، ومن ثم وضع أصول معيارية تحمي هذا التقعيد من الاجتهادات الخاطئة وتضمن انتقال النص القرآني بأدائه اللغوي الدقيق.

يضاف إلى ذلك العامل القومي والاجتماعي المتمثل في اعتزاز العرب بلغتهم واعتبارها الوعاء الحافظ لهويتهم وثقافتهم، لقد شعر العرب بالخوف على لغتهم من "الفناء والذوبان" في اللغات الأعجمية المجاورة والمختلطة بها، ومع ظهور أجيال المولدين والشعوب المستعربة التي افتقرت إلى السليقة العربية الصافية التي كانت تميز بدو الصحراء، برزت الحاجة الماسة لضبط أصول العربية في إعرابها وتصريفها من خلال قوانين مستنبطة تمنع تدهور اللسان العربي وتحافظ على نقائه.

إذا تأملنا صنيع النحاة الأوائل من أقطاب المدرستين البصرية والكوفية (مثل الخليل بن أحمد الفراهيدي وتلميذه سيبويه من البصريين، والكسائي من الكوفيين)، نجد أنهم لم يعنوا بتأليف مصنفات مستقلة تحمل عنوان "أصول النحو"، ومرد ذلك إلى أسباب منهجية مقنعة؛ إذ كانوا في مرحلة التأسيس الأولى والتنظير الأولي، منشغلين بجمع المادة اللغوية الخام واستنباط القواعد العامة للنحو منها، ولقد مارس هؤلاء الأعلام "القياس" واعتمدوا على "السماع" واستخدموا أدوات "التعليل"، لكن هذه الأصول كانت بمثابة أدوات عمل مضمرة وحاضرة بقوة في ثنايا مصنفاتهم النحوية، ويبرز كتاب سيبويه (الكتاب) كأعظم وثيقة في هذا السياق، حيث يُعد، كما أشار الدكتور التواتي بن التواتي في مؤلفاته، دستور النحاة قاطبة وأهم مرجع للبحث اللغوي[1].

استمر هذا التداخل العضوي بين النحو وأصوله حتى مجيء القرن الرابع الهجري، في هذه المرحلة التاريخية، بلغت العلوم العقلية والنقلية درجة عالية من النضج والاكتمال، ولا سيما علم أصول الفقه الذي استقرت مناهجه واصطلاحاته، وهنا، تنبه العلماء الأفذاذ، وعلى رأسهم أبو الفتح عثمان بن جني، إلى حاجة النحو والنحاة إلى كتاب مستقل في الأصول يضاهي كتب أصول الفقه، فألزم ابن جني نفسه بوضع مصنف ضخم يعالج هذه المسائل الأصولية البحتة، فظهر كتابه العمدة "الخصائص"، ومنذ ذلك التاريخ المفصلي، بدأ علم أصول النحو يستقل بكيانه الخاص، وتتضح معالمه ومباحثه.

[1]– التواتي بن تواتي، محاضرات في اصول النحو، دار الوعي للنشر والتوزيع، ط1 ، الجزائر، 2010، ص51–52.

**د- أقطاب التأليف المرجعي في أصول النحو (بين التراث والمعاصرة)**

شهدت الساحة العلمية اللغوية عبر العصور المتعاقبة جهوداً مضنية وعميقة لضبط أصول النحو وتطوير مباحثه. وتوزعت هذه الجهود بين علماء التراث الخالدين الذين أرسوا الدعائم، وبين الباحثين والأكاديميين المحدثين الذين أعادوا قراءة هذا التراث وفق المناهج اللسانية المعاصرة.

بالنسبة لأبرز من ألف في أصول النحو من المتقدمين، تبرز أسماء شكلت علامات فارقة في تاريخ الفكر اللغوي:

- أبو بكر محمد بن السري بن السراج (توفي 316 هـ) .: يُعد كتابه الموسوم بـ "الأصول في النحو" من البدايات المبكرة التي حملت بذرة هذا العلم، ورغم أن الكتاب يغلب عليه الطابع النحوي التطبيقي ويميل إلى سرد القواعد، إلا أنه تضمن في ثناياه إشارات أصولية بالغة الأهمية حول العلل وأنواعها والقياس النحوي، مما مهد الطريق وعبد السبيل لمن جاء بعده من المنظرين.

- أبو الفتح عثمان بن جني (توفي 391 هـ) .: هو صاحب التأسيس الحقيقي والمنهجي العميق لعلم أصول النحو من خلال سفره العظيم "الخصائص"، قدم ابن جني أول مقاربة فلسفية شاملة للغة العربية، جاء هذا الكتاب زاخراً بالقواعد الأصولية، ومتأثراً بعمق بما سبقه من اجتهادات علماء أصول الفقه وعلم الكلام، وتناول فيه قضايا شائكة ومعقدة كأصل اللغة، والقياس، والاطراد والشذوذ، والتعليل الجدلي، ليضع بذلك حجر الأساس لعلم الأصول المستقل.

- أبو البركات الأنباري (توفي 577 هـ): مع الأنباري، نقل أصول النحو إلى مرحلة متقدمة من التجريد والتنظيم المنهجي الصارم، ويُعد كتابه "لُمَع الأدلة في أصول النحو" محطة مفصلية، حيث صاغه على نسق ترتيب كتب أصول الفقه صراحة، معتمداً فصولاً واضحة في الأدلة ومصادرها، كما أضاف للمكتبة كتابه الفريد "الإغراب في جدل الإعراب" الذي قعد فيه لأصول المناظرة والجدل والمحاجة بين النحاة[1].

- جلال الدين السيوطي (توفي 911 هـ): يمثل كتابه "الاقتراح في أصول النحو" قمة النضج التدويني، فهو موسوعة جامعة لشتات ما تفرق من مباحث أصول النحو لدى من سبقه، اعتمد السيوطي بشكل ملحوظ على مصادر ابن جني والأنباري، ورتب مباحثه ترتيباً أصولياً دقيقاً

[1]- التواتي بن تواتي، محاضرات في اصول النحو، دار الوعي للنشر والتوزيع، ط1 ، الجزائر، 2010، ص 52-53.

وشاملاً (تناول فيه السماع، الإجماع، القياس، واستصحاب الحال بالتفصيل)، وقد نص فيه صراحة على الموازاة التامة بين أصول الفقه وأصول النحو.

أما في العصر الحديث، فقد تصدى العديد من الباحثين الأكاديميين المرموقين لإحياء هذا العلم وتدريسه في الجامعات العربية وتيسير مباحثه العميقة للطلاب، من أبرز هؤلاء:

- الدكتور تمام حسان: الذي قدم في كتابه المرجعي "الأصول: دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب" (الصادر بالقاهرة عام 2000) قراءة حديثة تعتمد على منجزات اللسانيات المعاصرة لفهم التراث الأصولي النحوي العربي.
- الدكتور عبده الراجحي: الذي برع في تقديم مقاربات تفريقية واضحة ودقيقة بين النحو والصرف، وبين النحو وأصوله.
- الدكتور عمار بشيري: من خلال مطبوعته البيداغوجية القيمة "محاضرات في مادة علم أصول النحو" للموسم الجامعي 2021-2022، الموجهة لطلبة جامعة ميلة بالجزائر، والتي هدفت إلى تبسيط المفاهيم الفلسفية للطلاب الجامعيين وفق تسلسل أكاديمي محكم.
- الأستاذ طبطوب بوزيد: من خلال محاضراته التفصيلية الشاملة التي غطت أربعة عشر محوراً في أصول النحو.
- فصيح مقران: مؤلف كتاب "المدخل الجامع في أصول نظرية النحو العربي" المطبوع في دار الوسام العربي بعنابة (2011م).
- الأستاذ الدكتور التواتي بن التواتي: صاحب السفر الأكاديمي "محاضرات في أصول النحو" (دار الوعي، الجزائر، 2008م)، والذي سيتم تخصيص مبحث مستقل لاحقاً لتفكيك منهجه ومحتوى كتابه وإبراز قيمته العلمية[1].

[1]- التواتي بن تواتي، محاضرات في اصول النحو، دار الوعي للنشر والتوزيع، ط1 ، الجزائر، 2010، ص53-54.

هـ- التداخل الإبستمولوجي: علاقة أصول النحو بعلوم الشريعة الإسلامية

لا يمكن بأي حال من الأحوال قراءة التراث اللغوي والنحوي العربي بمعزل عن المناخ الثقافي والعلمي الإسلامي الذي نشأ وترعرع فيه، لقد كان العقل العربي الإسلامي يتجه بطبيعته نحو "التفقه" في كل شيء، ساعياً إلى استنباط القوانين وضبط المعايير، ومن هنا، اتسم علم أصول النحو بطبيعته "العبر تخصصية"، حيث استجلب مفاهيم ومنظومات منهجية متطورة من أصول معرفية مختلفة، وعلى رأسها علوم الشريعة كأصول الفقه وعلم الحديث.

تتجلى هذه العلاقة العضوية أولاً في "العلاقة الغائية"، إن الغرض الأساسي من تقعيد علم أصول النحو ومن النحو عينه هو خدمة النص الشرعي، وتقديم كتاب الله تعالى الذي يُعد أصل الدين والدنيا، فضلاً عن معرفة أخبار النبي ﷺ وإقامة معانيها على الحقيقة، فالنصوص الشرعية لا تُفهم أحكامها ولا تُدرك مقاصدها التشريعية إلا بوفائها حقوقها من الإعراب، والمعرفة الدقيقة لدلالات الألفاظ والسياقات التركيبية.

أما على مستوى التقاطع المنهجي، فيمثل علم "أصول الفقه" المَعين الأول والنموذج المعرفي الأرقى الذي استقى منه أصوليو النحاة أدواتهم المنطقية، لقد لاحظ النحاة أن الفقهاء قد نجحوا بجدارة في وضع آليات منضبطة وصارمة لاستنباط الأحكام الشرعية من النصوص المحدودة (القرآن والسنة) وتطبيقها على النوازل والقضايا الإنسانية غير المحدودة، فقام النحاة بنسخ هذا النموذج المعرفي وتكييفه ليُطبق على المادة اللغوية.

تتضح هذه الاستعارة العميقة في مصطلحات حددها كتاب الدكتور التواتي بن التواتي بصراحة تامة وعمق منهجي في مطلع كتابه، حيث يقدم التواتي تشريحاً إبستمولوجياً لمصادر المصطلحات الأصولية، حيث يؤكد اعتماد المنظومة النحوية على مصطلحات من أصل (علم أصول الفقه) وشملت ما يلي[1] :

- القياس: كما يقيس الفقيه حكماً شرعياً غير منصوص عليه على حكم منصوص لعلة جامعة بينهما، قاس النحوي التركيب اللغوي المسموع والمستحدث على التركيب المسموع المأثور عن العرب الأقحاح.

[1]- التواتي بن تواتي، محاضرات في اصول النحو، دار الوعي للنشر والتوزيع، ط1 ، الجزائر، 2010، ص16.

- الإجماع: تم استعارة مفهوم إجماع الفقهاء ليصبح إجماع النحاة (في البصرة أو الكوفة) على قاعدة معينة حجة ملزمة.
- استصحاب الحال: وهو مبدأ فقهي يعني البقاء على الأصل حتى يرد دليل ناقل. وفي النحو، الأصل في الأسماء الإعراب، ولا يُحكم ببنائها إلا بعلة طارئة وقوية.
- الاستحسان، وتراكيب المذاهب، والعرف، والشبه: وهي أدوات أصولية فقهية بالغة الدقة وظفها النحاة ببراعة في ترجيح قاعدة نحوية على أخرى عند تعارض دليل السماع مع دليل القياس.
- الحكم والعلة والسبب: أدوات تعليلية استُعيرت من المنطق الفقهي لتبرير الظواهر الإعرابية وتفسير عللها.

إلى جانب أصول الفقه، تقاطع علم أصول النحو بقوة مع علم "مصطلح الحديث"، فقد استعار النحاة منهجية المحدثين الصارمة في "الجرح والتعديل" ونقد أسانيد الرواية لتوثيق الشواهد اللغوية، فالنحاة لم يقبلوا أخذ اللغة من أي ناطق بها، بل اشترطوا شروطاً قاسية تتعلق بعصور الاحتجاج زمانياً، وبالقبائل البدوية الموثوقة مكانياً، وقد أورد الدكتور التواتي بن التواتي أن النحاة استعملوا مصطلحات من أصل (علم مصطلح الحديث)، حيث قسموا نقل الرواية اللغوية إلى نقل متواتر يفيد القطع، وحديث آحاد، وضبطوا شروط السماع.

كما لم تخلُ الصناعة النحوية من التأثر بالجدل الكلامي، حيث وظف النحاة مصطلحات من أصل (علم الكلام) تتعلق بالتنظير العقلي، والماهيات، والبحث الفلسفي في أصل اللغات.

## المبحث السادس: الخارطة المعرفية: أهم مباحث ومواضيع أصول النحو

تتوزع المادة العلمية الغزيرة لعلم أصول النحو على مجموعة من القضايا الكبرى والمحاور التفصيلية، والتي تم تأطيرها وهيكلتها أكاديمياً في الجامعات الجزائرية والعربية عبر مساقات منهجية دقيقة، ووفقاً للمناهج البيداغوجية المعتمدة (كمناهج الدكتور التواتي بن تواتي، والدكتور عمار بشيري، والأستاذ طبطوب بوزيد)، يمكن حصر أهم مواضيع هذا العلم في (14) أربع عشرة محاضرة رئيسية تغطي مفاصل العلم الكبرى[1] :

أولاً: المداخل النظرية ومصادر الاحتجاج النقلي (السماع) يبدأ تدريس هذا العلم بمدخل نظري يشرح المصطلحات ويقارب بين النحو وأصوله، متتبعاً النشأة والمرجعيات، وأقطاب التأليف .لينتقل بعد ذلك إلى ركن الزاوية الأول وهو "السماع"، يبحث موضوع السماع في شروط قبول الرواية اللغوية وأركانها .ويتم تفصيل مصادر الاحتجاج إلى:

1. القرآن الكريم والقراءات: دراسة مكانة النص القرآني كأعلى مراتب الفصاحة والاحتجاج، والتسليم بقراءاته المتواترة.
2. الحديث الشريف: مناقشة الإشكالية العميقة حول جواز الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف في إثبات القواعد النحوية، بالنظر إلى احتمالية روايته بالمعنى وليس باللفظ النبوي الدقيق.
3. كلام العرب (شعراً ونثراً): ويشمل دراسة حدود الاحتجاج الزمانية (من عصر ما قبل الإسلام وصدر الإسلام والعصر الأموي، وصولاً لمنتصف القرن الثاني الهجري للحضر ومنتصف الرابع للبدو)، والمكانية (أخذ اللغة الصافية عن قبائل قيس وتميم وأسد)، ومناقشة قضية الشواهد المجهولة التي لا يُعرف قائلها.

ثانياً: الأدلة العقلية وآليات الاستنباط (القياس وما يتبعه) ويُعد "القياس النحوي "عصب التفكير الأصولي، ويتمثل في حمل تركيب غير مسموع على تركيب مسموع لوجود علة جامعة. ويدرس هذا المحور أركان القياس الأربعة بدقة متناهية :

- المقيس عليه (وهو الأصل المسموع).

[1]– التواتي بن تواتي، محاضرات في اصول النحو، دار الوعي للنشر والتوزيع، ط1 ، الجزائر، 2010، ص 10–359.

- المقيس (وهو الفرع المستحدث المراد إثبات حكمه).
- العلة النحوية (وتطورها من علة تعليمية بسيطة إلى علة قياسية ثم علة جدلية فلسفية).
- الحكم النحوي وشروط سريانه.

كما يدرس الطلاب الأدلة التبعية الأخرى، وعلى رأسها "استصحاب الحال"، وهو الاحتكام إلى الأصل المعياري عند انعدام الدليل الطارئ، و"الإجماع" بحجيته وأنواعه التقاطعية (إجماع النحاة، إجماع الفقهاء، وإجماع الأصوليين)[1].

ثالثاً: الظواهر النحوية الفلسفية تُختتم المباحث بمناقشة قضايا إبستمولوجية وفلسفية عميقة، مثل ظاهرة "الإعراب "وفلسفتها (هل هو دليل دلالي أم حركة لفظية شكلية؟) ، ومبحث "الأصل والفرع "والثنائيات المعرفية كأصل الوضع والعدول عن الأصل لأسباب صوتية أو دلالية، وصولاً إلى مبحث "الاجتهاد " وشروط المجتهد في النحو، وأخيراً، المحور الفلسفي الأهم وهو "نظرية العامل "التي تشكل حجر الزاوية في التفكير النحوي العربي برمته، والقائمة على قاعدة عقلية صارمة بأن كل تغيير إعرابي لابد له من سبب (عامل) مادي لفظي أو معنوي يقتضيه ويحدثه.

**و- القراءة النقدية التحليلية لجهود الدكتور التواتي بن التواتي وقيمة كتابه "محاضرات في أصول النحو"**

تُعتبر الساحة اللسانية والأكاديمية الجزائرية والعربية محظوظة بالجهود المضنية التي قدمها أحد أبرز أعلامها المعاصرين، الأستاذ الدكتور التواتي بن التواتي. لقد أسس لمدرسة تعنى بربط التراث اللغوي بالمنهجية الأكاديمية الصارمة.

**1.المسار التكويني والمكانة العلمية للدكتور التواتي**

ولد الدكتور التواتي بن التواتي في الأول من سبتمبر عام 1943 بمدينة الأغواط في قلب الجزائر، ونشأ في بيئة علمية محافظة، حيث أخذ القرآن الكريم وحفظه بالزاوية الرحمانية في فترة وجيزة جداً على يد شيخه "الكويسي المبروك"، تفتق ذهنه العلمي مبكراً بانضمامه إلى مدارس جمعية العلماء المسلمين

[1]- التواتي بن تواتي، محاضرات في اصول النحو، دار الوعي للنشر والتوزيع، ط1 ، الجزائر، 2010، ص 10-359.

الجزائريين التي زرعت فيه عقيدة الانتماء والاعتزاز باللغة العربية، ليلتحق بعدها مناضلاً في صفوف جيش التحرير الوطني إبان الثورة التحريرية.

يُعد الدكتور التواتي اليوم قامة باسقة وباحثاً وعلماً بارزاً في الساحة اللسانية واللغوية، وما يميز مسيرته هو تكوينه الموسوعي المزدوج، فإلى جانب تتبعه للجهود اللسانية واللغوية والتعرف على مضامين الكتب التراثية، له إسهامات كبرى تتجاوز التخصص اللغوي الدقيق لتشمل التفسير والعلوم الشرعية، فقد ألف تفسيراً للقرآن الكريم بعنوان "الذّر الثمين" اهتم فيه بتقرير الأحكام الشرعية وإصلاح القلوب، كما أغنى المكتبة الإسلامية بكتابه القيم "أصول الفقه المالكي" الصادر عن دار ابن حزم بالرياض عام 2014، هذا التكوين المعرفي المزدوج (الشرعي واللغوي) منحه قدرة فذة واستثنائية على استيعاب وتفكيك عمق العلاقة المعقدة بين أصول النحو وأصول الفقه[1].

**2.المنهج العلمي وإبراز الجهود في الدراسات اللغوية والنحوية**

إن الجهود العلمية للدكتور التواتي تمثل ركيزة أساسية في الدراسات اللسانية الحديثة، حيث يسعى منهجياً إلى تقديم صياغة جديدة لمختلف العلوم اللغوية وبعث مقومات الدراسة اللسانية الأصيلة، ويمكن تتبع تجليات منهجه العلمي من خلال الآتي:

- التقديس المعرفي للتراث النحوي الأصيل: يقدر التواتي التراث تقديراً كبيراً، ويتجلى ذلك في تقييمه لكتاب "سيبويه"، ففي كتاباته، يرى التواتي أن "كتاب سيبويه" يمثل قيمة معرفية خالصة، والأساس المتين لاستنباط القواعد اللغوية، ويعتبره المادة الخام للنحو العربي، بل يؤكد أن هذا الكتاب هو "دستور النحاة قاطبة، ودعامة علم النحو، وأهم مرجع للبحث والدرس."

- التحليل التاريخي والمنهج الاستقرائي الواعي: برز جهده العميق في تتبع الصراع والمنافسة العلمية التاريخية بين المدرسة البصرية والمدرسة الكوفية، ففي دراساته يفصل التواتي في طبيعة هذا التنافس، لا سيما في "الطبقة الرابعة" التي برز فيها سيبويه من البصرة والكسائي من الكوفة، واصفاً المجالس والندوات العلمية في بغداد التي كانت تعقد لتبادل المعارف والمناظرة، كما يحلل

[1]– التواتي بن تواتي، مرجع سابق، ص 359.

كيفية اعتماد الكوفيين على المنهج الاستقرائي من خلال مراقبة أواخر الكلمة وتتبع أحوال العرب في البادية لضمان بقاء السليقة والفصاحة [1].

- المنهجية التربوية الصارمة: يتبع التواتي في عرض مادته العلمية منهجاً يقوم على القراءة المتأنية في "المنجز والمنهج"، متميزاً بأسلوب يجمع بين التعريف بمنهجية العلوم والتحليل التفصيلي المدعم بالأمثلة.

**3. القيمة العلمية والأكاديمية لكتابه "محاضرات في أصول النحو"**

يُعد كتاب "محاضرات في أصول النحو "للدكتور التواتي بن التواتي، والصادر عن "دار الوعي للنشر والتوزيع" بالجزائر ،الطبعة الأولى 2008م، ويقع في 384 صفحة، برقم إيداع دولي–978 ISBN 6–18–862–9947، من أمهات المراجع البيداغوجية والعلمية الحديثة في المكتبة الجامعية الجزائرية والعربية[2].

تكمن القيمة الأكاديمية لهذا المصنف في قدرة الدكتور التواتي الاستثنائية على تيسير المادة الأصولية شديدة التعقيد للطلاب، مع الحفاظ المطلق على صرامة الطرح وعمق التحليل اللساني، ولعل ما يميز أسلوبه في هذا الكتاب هو البراعة البيداغوجية والتربوية؛ حيث يُنقل عنه في إحدى المراجعات الأكاديمية أنه "كان يكرر نفس الفكرة صفحة وراء صفحة، وهو ينتقل في الوقت نفسه من موضوع إلى آخر بطريقة تبهر الأبصار" في محاضرات في أصول النحو" هذا التكرار المنهجي ليس حشواً، بل هو استراتيجية بيداغوجية مقصودة لترسيخ المفاهيم الإبستمولوجية المعقدة في ذهن المتلقي.

واستجابة للمطلب البحثي بإنجاز المطلوب من واقع الكتاب ذاته مع التهميش الدقيق المستند إلى الصفحات، نستعرض أبرز ما أورده الدكتور التواتي من قضايا مفصلية داخل هذا السفر المرجعي:

أولاً: تأصيل المصطلحات وتقاطعاتها المعرفية: يقدم الدكتور التواتي تفكيكاً عبقرياً وتصنيفاً إبستمولوجياً بالغ الدقة لمصادر المصطلحات المستعملة في أصول النحو، ليثبت عملياً التداخل المعرفي الذي أسلفنا ذكره، وقد صاغ هذا التصنيف بوضوح منهجي مبهر، حيث قسم المصطلحات النحوية الأصولية وأرجعها إلى جذورها الأصلية كالتالي :

[1]– التواتي بن تواتي، مرجع سابق، ص97–105.

[2]– التواتي بن تواتي، مرجع سابق، ص16–117.

إن هذا التوثيق المعرفي يعتبر بحد ذاته مفتاحاً مركزياً لقراءة العقلية النحوية العربية التي لم تكن عقلية منغلقة، بل اعتمدت على التكامل المعرفي بين مختلف حقول المعرفة الإسلامية[1].

ثانياً: التطبيق الإجرائي للاحتجاج بالنص القرآني لم يكتف التواتي في كتابه بالتنظير الجاف، بل غاص في التطبيق العملي، حيث يعرض ثم يكرس ذلك بأسلوبه البيداغوجي المتكرر لمسألة الاحتجاج بالنص القرآني في إثبات القواعد وتأصيل المفاهيم اللغوية، ويورد التواتي شواهد قرآنية بالغة الدقة ليبين قدرة التحليل النحوي الأصولي على سبر أغوار المعنى الإلهي، ومن الأمثلة التي أوردها للتحليل[2] :

- قوله تعالى: ﴿اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: 15]
- قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا﴾ [البقرة: 31][3].
- قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ [البقرة: 37][4]، يوضح التواتي من خلال توظيف هذه الآيات الإعجاز التركيبي العربي، وكيف استنبط النحاة أحكامهم الأصولية من هذا المعين المقدس الذي لا ينضب، مجسداً بذلك العلاقة الغائية بين النحو والنص الشرعي.

ثالثاً: الإحالة العلمية والوفاء لجهود الرواد والمؤسسين تجلى وفاء الأستاذ الدكتور التواتي لأسلافه من المؤسسين العظماء في إرجاعه الفضل لأهله، وتأكيده على تواصل الحلقات المعرفية. حيث يحيل بانتظام وباحترام أكاديمي بالغ إلى كتاب "الخصائص" لأبي الفتح عثمان بن جني، باعتباره المرجع المؤسس، ويظهر ذلك جلياً وواضحاً في التهميش الموثق لديه حين ينقل أطروحات ابن جني العميقة في التعليل والقياس[5].

وبهذا المنهج التحليلي الاستقرائي، أثبت الدكتور تواتي بن تواتي من خلال مؤلفه المرجعي "محاضرات في أصول النحو" أن دراسة اللغة ليست مجرد عملية آلية صماء لرص القواعد وحفظ الإعراب، بل هي دراسة عميقة في "نظرية المعرفة" العربية، وإن قدرته الفائقة على الجمع بين المعرفة الشرعية العميقة (التي تجلت في مؤلفاته الفقهية)، والمعرفة اللغوية واللسانية الشاملة، جعلت من كتابه هذا مرجعاً لا غنى عنه

[1]– المرجع نفسه، ص 16–117.

[2]– سورة البقرة، عن رواية ورش، الآية 15، ص 117.

[3]– سورة البقرة، عن رواية ورش، الآية31، ص31.

[4]– سورة البقرة، عن رواية ورش، الآية37.

[5]– التواتي بن تواتي، "محاضرات في أصول النحو"،، نقلاً عن كتاب الخصائص لابن جني، الجزء الأول، ص 114.

لكل طالب دراسات عليا وباحث في تخصصات اللسانيات وعلوم اللغة العربية في مختلف المكتبات الجامعية بالجزائر (كجامعة سطيف، وتيارت، وميلة، وعين تموشنت، وبسكرة، وغيرها).

إن منجز الدكتور التواتي يمثل امتداداً طبيعياً لمدرسة التأصيل اللغوي التي ترفض القطيعة مع التراث، وتتبنى في الوقت ذاته آليات البحث والتدريس الأكاديمي المعاصر، ليقدم للأجيال خلاصة الفكر الإبستمولوجي العربي في أبهى صوره.

## 2/- علم النحو (المقاربة الوظيفية والتعليمية)

### أ. النحو بين الصناعة اللفظية والمعنى:

يرى التواتي بن التواتي أن علم النحو لم يوضع في أصله ليكون مجرد قوالب صناعية جامدة وأقيسة جافة، بل وُضع لخدمة "المعنى" وحماية النص القرآني والخطاب العربي من اللحن الذي يفسد الدلالة، ويؤكد في كتاباته أن الإعراب هو إبانة وإفصاح عن المعاني الكامنة في النفس، وأن الحركات الإعرابية هي علامات دوال على معانٍ تركيبية كالتبعية، والفاعلية، والمفعولية .وينتقد التواتي بشدة ذلك الانحراف الذي أصاب الدرس النحوي المتأخر حين تحول من دراسة المعاني إلى الغوص في الافتراضات الذهنية والتقديرات الصناعية التي أثقلت كاهل المتعلم وأبعدت النحو عن غايته الوظيفية الأساسية[1] .

### ب. موقفه من "نظرية العامل" النحوي:

تطرق التواتي بن التواتي إلى أركان نظرية العامل النحوي التي سيطرت على الفكر النحوي العربي لقرون، ويحلل هذه النظرية بوصفها محاولة عبقرية من العقل العربي لإيجاد تفسير منطقي لتعاقب الحركات الإعرابية، وربط أجزاء الجملة ببعضها وفق علاقة تأثير وتأثر، ومع إقراره بقيمتها التاريخية والمنطقية، يميل التواتي إلى تبني نظرة معتدلة تقترب من آراء ابن مضاء القرطبي في بعض جوانبها، حيث يدعو إلى التخفيف من غلواء التقديرات العاملية التي لا يقتضيها المعنى الظاهر، مفضلاً التركيز على "القرائن النحوية" اللفظية والمعنوية التي تفيد في أداء المعنى بوضوح [2].

[1]– التواتي التواتي بن، مفاهيم في علم اللسان، مرجع سابق، ص 160.

[2]– التواتي التواتي بن، المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، مرجع سابق، ص 125.

**ت. الجملة العربية وبنيتها التركيبية:**

استأثرت "الجملة" باهتمام بالغ في مباحث التواتي، حيث يعتبرها الوحدة الأساسية للتواصل، ويقوم بتحليل ثنائية (المسند والمسند إليه) في الجملتين الاسمية والفعلية، مبيناً الخصائص التركيبية التي تميز النظم العربي عن غيره من اللغات، كحرية الرتبة (التقديم والتأخير) المشروطة بأمن اللبس، ويستثمر معطيات علم التركيب الحديث في تحليل بنية الجملة العربية، موضحاً كيف تتضافر المكونات النحوية لتوليد عدد لا حصر له من الجمل السليمة، وهو ما يعكس استيعابه العميق لمبدأ "التوليد" اللغوي [1].

**ث. الربط العضوي بين النحو وعلم الدلالة:**

يؤكد التواتي في دراساته أنه لا يمكن الفصل تعسفياً بين المبنى النحوي والمعنى الدلالي؛ فالقاعدة النحوية في جوهرها هي قاعدة دلالية، ويستدل على ذلك بأن تغيير الموقع الإعرابي للكلمة يؤدي حتماً إلى تغيير دلالة الجملة بالكامل، مما يجعل النحو حارساً للمعنى، ويحلل ظواهر التقديم والتأخير، والحذف، والذكر، مبيناً أن هذه التغيرات التركيبية ليست مجرد جوازات نحوية، بل هي خيارات أسلوبية دلالية تقتضيها مقامات التخاطب وحالات المتلقي، مما يربط النحو بالبلاغة والبراغماتية [2].

**ج. جهوده في تيسير النحو التعليمي:**

بصفته أكاديمياً وممارساً للتعليم، شخّص التواتي أزمة تدريس النحو العربي في المؤسسات التربوية والجامعية، وأرجعها إلى الاعتماد على متون وشروح غارقة في التعليل الفلسفي والخلافات المذهبية التي لا تخدم كفاءة التواصل لدى الطالب المعاصر، لذا، سعى التواتي إلى تقديم رؤية لتيسير النحو، تعتمد على استخلاص القاعدة الوظيفية الكلية، ونبذ الشواذ والاستثناءات النادرة، والتركيز على التطبيق المكثف على النصوص الحية بدلاً من حفظ القواعد الجافة[3] .

**ح. التطبيق النحوي على النص القرآني:**

اتخذ التواتي من النص القرآني المدونة الأسمى لتطبيق آرائه النحوية؛ فهو يرى أن القرآن الكريم يمثل قمة الفصاحة ومرجع السماع الأول الذي يجب أن تُقاس عليه القواعد لا العكس، ويقوم بدراسة توجيه

[1]– التواتي بن التواتي، مباحث في فقه اللغة العربية، مرجع سابق، ص 88.

[2]– التواتي بن التواتي، مفاهيم في علم اللسان، مرجع سابق، ص 175.

[3]– التواتي بن التواتي، المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، مرجع سابق، 2012.

النحاة لبعض الآيات القرآنية التي ظاهرها يخالف القاعدة المطردة، مفضلاً التوجيهات التي تحترم جلال النص القرآني وسلاسته، ورافضاً للتعسف في التأويل النحوي أو التقدير الذي يُلجأ إليه لمجرد إنقاذ قاعدة صناعية وضعها النحاة[1] .

**خ. موقفه من الخلاف النحوي (البصري والكوفي):**

تعامل التواتي مع الخلافات بين المدرستين البصرية والكوفية برؤية فاحصة؛ فهو لم يكتفِ بسرد الخلافات كما تفعل كتب التراث، بل سعى إلى تحليل أسسها الإبستمولوجية، مبيناً ميل البصريين للقياس العقلي الصارم، وميل الكوفيين لاتساع الرواية وقبول الشاذ .ويرى التواتي أن هذا الخلاف كان ظاهرة صحية أثرت العقل اللغوي العربي في بداياته، ولكنه في العصر الحديث أصبح عبئاً تعليمياً، مما يستوجب انتقاء ما هو أيسر وأكثر اطراداً في الاستعمال المعاصر بغض النظر عن الانتماء المذهبي النحوي[2] .

**د. الظواهر النحوية في ضوء اللسانيات المعاصرة:**

حاول التواتي إيجاد جسور تواصل بين المقولات النحوية التراثية (كالتقديم والتأخير، والذكر والحذف) ومفاهيم اللسانيات الحديثة (كالبنية العميقة والسطحية في المدرسة التوليدية التحويلية، (ويثبت في أبحاثه أن النحاة العرب مارسوا التحليل اللساني العميق قبل ظهور تشومسكي بقرون، وأن مفاهيم مثل "الرتبة" و"التحويل" كانت حاضرة بقوة في تحليلات سيبويه وعبد القاهر الجرجاني للنظم العربي[3] .

**ذ. الشواهد النحوية وتوثيقها:**

ينتقد التواتي بشدة ظاهرة الاستشهاد بـ "أنصاف الأبيات" ومجهول القائل في بعض المصنفات النحوية المتأخرة، معتبراً إياها ثغرة منهجية أدت إلى بناء قواعد عامة على شواهد مصنوعة أو نادرة، ويدعو إلى ضرورة تمحيص الشاهد النحوي، والتأكد من عصره وموثوقية قائله، مع إعطاء الأولوية المطلقة للشاهد

[1]– التواتي بن التواتي، القراءات القرآنية وأثرها، مجلة الحكمة، عدد 5.

[2]– التواتي بن التواتي، المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، مرجع سابق، 2012.

[3]– التواتي بن التواتي، مفاهيم في علم اللسان، مرجع سابق، ص 182.

القرآني ثم الحديث النبوي الشريف، ثم الشعر الجاهلي والإسلامي الموثق، لضمان سلامة الاستدلال النحوي[1] .

**ر. التوظيف البراغماتي (التداولي) للقاعدة النحوية:**

يتجاوز التواتي في طروحاته المستوى التركيبي البحت ليصل إلى المستوى التداوليPr) ، فهو يرى أن القاعدة النحوية لا تُفهم بالكامل إلا في سياقها التداولي، حيث يتحكم قصد المتكلم وحال المخاطب في اختيار البنية النحوية، فالعدول عن الجملة الفعلية إلى الاسمية، أو بناء الفعل للمجهول، ليس مجرد عملية تركيبية ميكانيكية، بل هو فعل إنجازي يهدف إلى تحقيق غرض تواصلي محدد كالتوكيد، أو لفت الانتباه، أو التعظيم، وهو ما يعيد للنحو وظيفته التخاطبية الحية[2] .

## 3- أصول النحو (المرجعية والتقعيد)

**أ. مفهوم أصول النحو والتقاطع مع أصول الفقه:**

يبحث التواتي بن التواتي في الجذور المعرفية لـ "أصول النحو"، مبيناً كيف استعار النحاة آلياتهم الاستنباطية من علماء "أصول الفقه"، فالنحوي في استنباطه للقاعدة يشبه الفقيه في استنباطه للحكم الشرعي، ويؤكد التواتي أن هذا التلاقح المعرفي منح النحو العربي صلابة منطقية غير مسبوقة؛ حيث اعتمد النحاة على السماع (مقابل النص الشرعي)، والقياس، والإجماع، والاستصحاب، لتأسيس منظومة لغوية محكمة تحكمها قوانين الاستدلال العقلي والنقلي[3] .

**ب. السماع (الرواية) كأصل أول وأساسي:**

يُعلي التواتي من شأن "السماع" كأصل أصيل تُبنى عليه القواعد اللغوية؛ فالسماع عنده هو المادة الخام (المدونة) التي يستقي منها النحوي قوانينه، ويحدد مصادر السماع الحجة في: القرآن الكريم، والحديث النبوي، وكلام العرب الخلص في زمان ومكان الاحتجاج، ويشيد بالصرامة المنهجية التي اعتمدها اللغويون الأوائل في رحلاتهم إلى البوادي لجمع اللغة من أفواه الأعراب قبل فساد السليقة، معتبراً هذا

[1]– التواتي بن التواتي، مباحث في فقه اللغة العربية، مرجع سابق

[2]– التواتي بن التواتي ، مفاهيم في علم اللسان، مرجع سابق.

[3]– التواتي بن التواتي ، مباحث في فقه اللغة العربية، مرجع سابق، ص 140.

العمل الاستقصائي الميداني سبقاً علمياً يضاهي أدق المناهج الوصفية الميدانية في اللسانيات المعاصرة[1] .

**ت. القياس النحوي وشروط اطراده:**

يعتبر التواتي "القياس" الأداة العقلية الفاعلة التي ضمنت استمرارية اللغة العربية وقدرتها على التوليد والتجدد، فهو يحلل أركان القياس النحوي (المقيس، والمقيس عليه، والعلة المشتركة، والحكم) برؤية تحليلية دقيقة، ويشدد التواتي، متوافقاً مع منهج البصريين، على ضرورة أن يكون "المقيس عليه" مطرداً وكثيراً في الاستعمال، رافضاً القياس على الشاذ والنادر لئلا يؤدي ذلك إلى هدم القواعد الكلية وإشاعة الفوضى التركيبية في اللغة [2].

**ث. الإجماع النحوي وحجيته:**

يناقش التواتي أصل "الإجماع" في الفكر اللغوي، مبيناً المقصود به وهو اتفاق أئمة البلدين (البصرة والكوفة) على حكم نحوي معين، ويرى أن الإجماع يمثل سلطة معيارية عليا تضمن استقرار النظام اللغوي، ومع إقراره بصعوبة تحقق الإجماع التام في مسائل الفروع النحوية لكثرة الخلاف، إلا أنه يؤكد أن الإجماع متحقق في "أصول القواعد" (كرفع الفاعل ونصب المفعول)، وهو ما يشكل القاسم المشترك الذي يحفظ وحدة اللغة العربية وتماسكها عبر الأجيال[3] .

**ج. العلة النحوية بين التفسير والتبرير:**

يولي التواتي عناية خاصة لمبحث "العلة النحوية"، مميزاً بين "العلة التعليمية" المباشرة (كقولنا: الفاعل مرفوع لأنه أسند إليه الفعل) والتي تُعد ضرورية للمتعلم، وبين "العلة الفلسفية الجدلية" التي ابتدعها المتأخرون، وينتقد التواتي بشدة الإغراق في العلل الثواني والثوالث التي لا تثمر عملاً ولا تحسن أداءً، معتبراً إياها ترفاً فكرياً أفسد صفاء النحو العربي وحوله إلى طلاسم منطقية أبعدته عن طبيعته الوصفية التفسيرية لواقع اللغة [4].

---

[1]– التواتي بن التواتي ، مفاهيم في علم اللسان، مرجع سابق

[2]– التواتي بن التواتي، المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، مرجع سابق، ص 133.

[3]– التواتي بن التواتي، مباحث في فقه اللغة العربية، الجزائ، مرجع سابق

[4]– التواتي بن التواتي، مفاهيم في علم اللسان، مرجع سابق، ص 195.

**ح. استصحاب الحال في التحليل النحوي:**

يبرز التواتي أصل "استصحاب الحال" كأداة منهجية هامة عند النحاة، ويقصد به إبقاء اللفظ على أصله (كالبناء أو الإعراب، أو التذكير) حتى يثبت دليل يوجب تغييره، ويوضح كيف ساهم هذا الأصل في وضع قواعد صارمة تمنع التخبط في التحليل، ف "الأصل في الأسماء الإعراب والأصل في الأفعال البناء"، وما خرج عن هذا الأصل يحتاج إلى دليل وعلة، مما يضفي صبغة رياضية وعلمية على دراسة الظواهر النحوية[1] .

**خ. التأويل النحوي وحدوده:**

يدرس التواتي إشكالية "التأويل" التي لجأ إليها النحاة لتخريج النصوص (كالقرآن والشعر) التي ظاهرها يخالف القواعد المطردة، وهو يعترف بضرورة التأويل في حالات محددة للحفاظ على اطراد القاعدة، لكنه في المقابل، يرفض التعسف والإسراف في التأويل وتقدير المحذوفات الوهمية لتطويع النص للقاعدة، ويرى أن النص القرآني هو الحاكم الأول، وإذا عجزت القاعدة عن تفسيره، فالقاعدة هي التي يجب أن تُراجع أو تتسع لتشمل الأسلوب القرآني المعجز. [2].

**د. الضرورة الشعرية وأثرها في التقعيد:**

يعالج التواتي مبحث "الضرورة الشعرية" في أصول النحو، مبيناً التراخيص اللغوية التي تُمنح للشاعر للخروج من ضيق الوزن والقافية (كصرف الممنوع من الصرف، أو قصر الممدود ( ويوضح أن هذه الضرورات، رغم ورودها بكثرة في كلام العرب، لا يجوز اتخاذها أصلاً يُقاس عليه في النثر أو الاستعمال العادي، مؤكداً دقة النحاة العرب في التمييز بين لغة الشعر (ذات الخصائص الإيقاعية) ولغة النثر (الخاضعة للقياس الصارم)[3].

**ذ. نقد المنهج الأصولي عند النحاة المتأخرين:**

يمارس التواتي دوراً نقدياً للمنهج الأصولي كما استقر عند النحاة المتأخرين (كابن الأنباري في "لمع الأدلة" والسيوطي في "الاقتراح")، فهو يرى أن إفراطهم في تطبيق أدوات أصول الفقه على النحو أدى إلى

[1]– التواتي بن التواتي، المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، مرجع سابق.

[2]– التواتي بن التواتي، القراءات القرآنية وأثرها، مرجع سابق.

[3]– التواتي بن التواتي، مباحث في فقه اللغة العربية، الجزائ، مرجع ساب.ق

تجميد اللغة، ويدعو التواتي إلى ضرورة مراجعة هذه الأصول على ضوء اللسانيات المعاصرة التي تتعامل مع اللغة كظاهرة اجتماعية حية تتطور، وليست كتشريع فقهي ثابت، مما يفتح الباب لتجديد أصول النحو العربي بما يلائم طبيعة العصر[1] .

**ر. استقلالية العقل اللغوي العربي:**

يخلص التواتي من خلال مباحث أصول النحو إلى إثبات الأصالة التامة والاستقلالية العميقة للعقل اللغوي العربي، ويرد على المستشرقين الذين ادعوا أخذ العرب لنحوهم عن المنطق اليوناني أو الهندي، ويبرهن بالأدلة الاستقرائية أن أصول النحو العربي، بآلياتها ومصطلحاتها وغاياتها، نبتت في بيئة عربية إسلامية محضة، استجابةً لحاجة ملحة هي فهم النص القرآني وتفسيره، وهو ما يمنح الدرس النحوي العربي خصوصيته وتفرده العالمي[2] .

[1]– التواتي بن التواتي، المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، مرجع سابق، ص 148.

[2]– التواتي بن التواتي، مفاهيم في علم اللسان، مرجع سابق

## المبحث الرابع: جهود التواتي بن التواتي الدلالية والمعجمية

### أ- الدلالة

#### 1. تأصيل البحث الدلالي في التراث العربي:

يرى التواتي بن التواتي أن "علم الدلالة" وإن كان مصطلحاً غربياً حديثاً تبلور في أواخر القرن التاسع عشر على يد "ميشال بريال"، إلا أن مباحثه العميقة متجذرة في التراث العربي الأصيل، ويؤكد أن علماء الأصول، والفقهاء، والبلاغيين، والنحاة العرب قد أسسوا وعياً دلالياً متقدماً حين بحثوا في دلالات الألفاظ، والعموم والخصوص، والمنطوق والمفهوم، للحفاظ على دلالة النص القرآني، ويشير في أبحاثه إلى أن إسهامات الجاحظ، وعبد القاهر الجرجاني، وابن جني، تمثل إرهاصات قوية لنظريات دلالية متكاملة. فالجرجاني في نظرية "النظم" لم يكن يبحث في النحو المجرد، بل في كيفية تشكل المعنى من خلال العلاقات التركيبية، مما يثبت السبق العربي في ربط النحو بالدلالة[1] .

#### 2. ثنائية اللفظ والمعنى (الدال والمدلول):

توقف التواتي مطولاً عند إشكالية "اللفظ والمعنى" التي شغلت الفكر اللغوي والفلسفي، وهو يتبنى الموقف القائل بالتلاحم العضوي بينهما، رافضاً النظرة التي تفصل المعنى عن الوعاء اللفظي الذي يحويه، فاللفظ بالنسبة له ليس مجرد ثوب يُلبس للمعنى، بل هو جسد المعنى وروحه، ويتقاطع طرحه هنا مع مفهوم "الدال والمدلول" عند اللساني السويسري فرديناند دي سوسير، حيث يرى التواتي أن العلاقة الاعتباطية (الوضعية) بين الدال والمدلول لا تنفي وجود حكمة دلالية في بعض الألفاظ العربية التي توحي بأصواتها بمعانيها، وهو ما ينسجم مع رأي ابن جني في خصائص لغة العرب [2].

#### 3. التطور والتغير الدلالي:

يدرس التواتي اللغة كظاهرة حية تخضع للتطور، ويركز بشكل خاص على "التطور الدلالي" للألفاظ عبر الزمن، ويحلل آليات هذا التطور المتمثلة في تخصيص الدلالة (تضييق المعنى)، وتعميم الدلالة (توسيع المعنى)، وانتقال الدلالة، وانحطاطها أو رقيها، ويستشهد بالعديد من الألفاظ التي اكتسبت دلالات إسلامية

[1]– التواتي بن التواتي، مباحث في فقه اللغة العربية، مرجع سابق، ص 215.

[2]– التواتي بن التواتي، مفاهيم في علم اللسان، مرجع سابق.

جديدة لم تكن معروفة في العصر الجاهلي (كالصلاة، والزكاة، والكفر)، مبيناً أن التغير الدلالي هو استجابة حتمية للتغيرات الثقافية والاجتماعية والدينية التي يمر بها المجتمع الناطق باللغة [1].

**4. ظاهرة الترادف وحدودها:**

عالج التواتي قضية "الترادف " التي كثر حولها الجدل بين مثبتين لها ومانعين، وهو يميل إلى الرأي القائل بندرة الترادف التام (التطابق المطلق في المعنى) في اللغة العربية، مؤيداً بذلك موقف أبي علي الفارسي وابن فارس، ويرى أن ما يُظن أنه ترادف هو في الحقيقة تقارب في المعنى العام مع وجود فروق دقيقة (فروق لغوية) تميز كل لفظ عن الآخر، فالسيف والمهند والهداف ليست مترادفات متطابقة، بل تعكس زوايا دلالية مختلفة لنفس المسمى، مما يثري المعجم العربي ويدل على دقته [2].

**5. المشترك اللفظي واللبس الدلالي:**

يتناول التواتي ظاهرة "المشترك اللفظي" بوصفها سمة من سمات الاقتصاد اللغوي، حيث يدل اللفظ الواحد على معنيين مختلفين أو أكثر (مثل لفظ: العين، والقرء)، ويفسر نشأة المشترك اللفظي بتطور المعاني عبر الزمن، أو باختلاف لهجات القبائل العربية، ويؤكد أن المشترك اللفظي لا يؤدي إلى "اللبس الدلالي" في التواصل الفعلي، لأن "السياق" (المقالي والمقامي) يتكفل دائماً بتحديد المعنى المقصود بدقة، مما ينفي تهمة الغموض التي وجهها بعض المستشرقين للغة العربية بسبب هذه الظاهرة [3].

**6. التضاد والتقابل الدلالي:**

يُعد "التضاد " وجهاً من وجوه المشترك اللفظي عند بعض القدماء، وقد أفرد له التواتي دراسة تبين وظيفته الدلالية، وهو اللفظ الذي يُطلق على المعنى وضده (مثل: الجون للأسود والأبيض، والجلل للعظيم والحقير( ويرى التواتي أن التضاد، رغم ندرته مقارنة بالظواهر الأخرى، يعكس قدرة العقل العربي على إدراك الأشياء من خلال أضدادها، ويؤكد مجدداً على الدور الحاسم للسياق في رفع الإبهام وتوجيه الدلالة نحو المعنى المراد دون التباس[4] .

---

[1]– التواتي بن التواتي، المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، مرجع سابق، ص 164.

[2]– التواتي بن التواتي، مباحث في فقه اللغة العربية، مرجع سابق، ص 188.

[3]– التواتي بن التواتي، مفاهيم في علم اللسان. الجزائر، مرجع سابق.

[4]– التواتي بن التواتي، مباحث في فقه اللغة العربية، مرجع سابق.

### 7. نظرية السياق والمقام :

يُولي التواتي اهتماماً بالغاً بـ "النظرية السياقية" التي تبلورت حديثاً على يد "فيرث (J.R. Firth) " ويبرهن على أن علماء العرب، وخاصة البلاغيين والأصوليين، قد سبقوا فيرث إلى تقرير أن "لكل مقام مقالاً"، وأن المعنى لا يتحدد في الفراغ، ويحلل دلالة المفردة بناءً على سياقها اللغوي (الكلمات المجاورة لها)، وسياقها العاطفي، وسياق الموقف (البيئة الثقافية والاجتماعية للمتكلم والمخاطب)، مؤكداً أن المعجم يعطينا الدلالة المركزية، بينما يمنحنا السياق الدلالة الهامشية والحقيقية [1].

### 8. نظرية الحقول الدلالية:

تفاعل التواتي بإيجابية مع نظرية "الحقول الدلالية" لـ(Trier) ، والتي تقوم على فكرة أن مفردات اللغة تنتظم في شبكات أو حقول مترابطة (مثل حقل الألوان، حقل القرابة)، ولا يُفهم معنى الكلمة إلا بمقارنتها بالكلمات الأخرى داخل نفس الحقل، ويشير التواتي إلى أن "معاجم المعاني" والتصنيفات اللغوية العربية القديمة (مثل كتاب "المخصص" لابن سيده، و"فقه اللغة" للثعالبي) هي في جوهرها تطبيقات مبكرة ورائدة لنظرية الحقول الدلالية، حيث جُمعت الألفاظ وصُنفت بناءً على قرابتها المعنوية والموضوعية [2].

### 9. المجاز والانزياح الدلالي:

يدرس التواتي "المجاز" ليس فقط كظاهرة بلاغية تجميلية، بل كآلية دلالية حيوية لتوليد المعاني وتوسيع طاقة اللغة، ويرى أن المجاز ينقل اللفظ من دلالته الحرفية المعجمية إلى دلالات إيحائية جديدة فرضتها ضرورة التعبير عن المفاهيم المجردة، ويتقاطع هذا الطرح مع مفهوم "الانزياح (Ecart) "في الأسلوبيات الحديثة، حيث يعتبر التواتي أن الخروج عن المعيار الدلالي المباشر هو ما يمنح النصوص الأدبية والقرآنية طراوتها وقدرتها على التأثير الجمالي والنفسي المتجدد[3] .

### 10. نقد النظريات الدلالية الغربية:

لم يكن التواتي متلقياً سلبياً للنظريات الدلالية الغربية، بل مارس دوراً نقدياً فاحصاً، فهو يقدر الجهود المعملية والتحليلية للمدارس اللسانية المعاصرة، لكنه يرفض إسقاطها الآلي والمتعسف على اللغة العربية .

---

[1]– التواتي بن التواتي، مفاهيم في علم اللسانن مرجع سابق، ص 225.

[2]– التواتي بن التواتي، المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، مرجع سابق، ص 180.

[3]– التواتي بن التواتي، مفاهيم في علم اللسان، مرجع سابق

ويحذر من محاولات تفكيك المعنى القرآني باستخدام نظريات دلالية تفكيكية متطرفة (كالتي ظهرت مع دريدا أو رولان بارت)، مؤكداً على ضرورة صياغة "علم دلالة عربي" يستفيد من المناهج الحديثة مع احتفاظه بالخصوصية التداولية والروحية للنص العربي الأصيل[1] .

## ب- المعجم

### 1. التفريق بين علم الدلالة وعلم صناعة المعجم:

يضع التواتي حدوداً منهجية واضحة بين "علم الدلالة" الذي يدرس قوانين تطور المعنى نظرياً، وبين "علم المعجم " الذي يُعنى بالجانب التطبيقي المتمثل في حصر مفردات اللغة وترتيبها وشرح دلالاتها في قواميس، ويؤكد أن صناعة المعجم هي تتويج للجهد الدلالي، حيث يعتمد المعجمي على المكتشفات الدلالية والصرفية لوضع تعريفات دقيقة للألفاظ، مما يجعل العلاقة بينهما علاقة تنظير بتطبيق[2] .

### 2. نشأة المعجم العربي وريادته العالمية:

يفتخر التواتي في مباحثه بالريادة العالمية للعرب في مجال الصناعة المعجمية. ويؤكد أن الدافع الديني (فهم غريب القرآن والحديث) كان المحرك الأول لجمع اللغة، قبل أن يتطور الأمر إلى وضع معاجم شاملة تضبط لغة الأمة بأسرها، ويشير إلى أن الخليل بن أحمد الفراهيدي في معجم "العين" لم يضع أول معجم عربي فحسب، بل ابتكر منهجية رياضية وصوتية بالغة التعقيد لتقليب الجذور وحصر الكلمات المستعملة والمهملة، وهو عمل لم تسبقه إليه أي أمة أخرى في التاريخ[3] .

### 3.معاجم الألفاظ ومعاجم المعاني:

يستعرض التواتي مسار التأليف المعجمي مقسماً إياه إلى تيارين: "معاجم الألفاظ" التي ينطلق فيها الباحث من اللفظ ليبحث عن معناه (مثل لسان العرب، والقاموس المحيط)، و"معاجم المعاني" التي ينطلق فيها من المعنى (الفكرة) ليبحث عن الألفاظ الدالة عليه (مثل فقه اللغة للثعالبي)، ويشيد التواتي بالقيمة الكبرى لمعاجم المعاني في تنمية الثروة اللفظية لدى الكُتّاب والأدباء، معتبراً إياها أداة فعالة لتحقيق ما

[1]– التواتي بن التواتي، المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، مرجع سابق، ص 210

[2]– التواتي بن التواتي، مباحث في فقه اللغة العربية، مرجع سابق

[3]– التواتي بن التواتي، مفاهيم في علم اللسان. الجزائر، مرجع سابق، ص 240.

يُعرف حديثاً بـ(Onomasiology) ، وهو فرع من اللسانيات يدرس كيفية التعبير عن المفاهيم بالكلمات[1] .

**4. المدارس المعجمية وأنظمة الترتيب:**

قام التواتي بدراسة تحليلية نقدية لأنظمة الترتيب التي اعتمدتها المدارس المعجمية التراثية: المدرسة التقليبية الصوتية (العين)، والمدرسة الألفبائية بحسب الأواخر/القافية (الصحاح، لسان العرب)، والمدرسة الألفبائية بحسب الأوائل (أساس البلاغة )، ويرى أن هذه الأنظمة، رغم تعقيد بعضها، استجابت لحاجات العصور التي أُلفت فيها (كحاجة الشعراء لمعاجم القوافي)، ويدعم بقوة الاعتماد الحصري على الترتيب الألفبائي الجذري بحسب أوائل الأصول في العصر الحديث تيسيراً للبحث المعجمي للمتعلمين [2].

**5. نظرية الجذر والاشتقاق المعجمي:**

يُعد "الجذر" حجر الزاوية في الصناعة المعجمية العربية. ويوضح التواتي كيف أن المعجم العربي يُبنى أساساً على إرجاع الكلمة المزيدة إلى أصلها الثلاثي أو الرباعي المجرد قبل البحث عنها، ويؤكد أن هذه الخاصية الاشتقاقية تمنح المعجم العربي تنظيماً هندسياً دقيقاً يجمع الكلمات ذات الأصل الواحد (علم، يعلم، عالم، معلوم، استعلام) في حيز واحد، مما يبرز الروابط الدلالية بينها، بخلاف المعاجم الغربية التي ترتب الكلمات وفق نطقها السطحي فتتشتت الكلمات ذات الأصل الواحد[3] .

**6. التعريب والتوليد لمواكبة العصر:**

يعالج التواتي قضية قصور بعض المعاجم التراثية عن استيعاب مصطلحات العصر الحديث، ويدعو إلى تفعيل آليات "التعريب" و"التوليد المعجمي" والاشتقاق لسد الفجوة المصطلحية في مجالات العلوم والتكنولوجيا، ويشدد على دور المجامع اللغوية في إدخال الألفاظ المولدة إلى قواميس حديثة معتمدة، مع ضرورة الالتزام بأوزان اللغة العربية وقوالبها الصرفية عند نقل أو اشتقاق المصطلحات الجديدة حفاظاً على الهوية الصوتية للغة[4] .

---

[1]– التواتي بن التواتي، مباحث في فقه اللغة العربية، مرجع سابق، ص 255.

[2]– التواتي بن التواتي، المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، مرجع سابق

[3]– التواتي بن التواتي، مفاهيم في علم اللسان، مرجع سابق

[4]– التواتي بن التواتي، مباحث في فقه اللغة العربية، مرجع سابق

### 7. شروط التعريف المعجمي وصناعته:

انتقد التواتي طريقة "التعريف " في المعاجم القديمة التي تعتمد غالباً على إحالة الكلمة إلى مرادفها الغامض أو دورها في حلقة مغلقة (كأن يُعرف الماء بأنه السائل المعروف )، ويقترح الاستفادة من اللسانيات المعجمية الحديثة في صياغة "التعريف المعجمي" بطريقة علمية تعتمد على ذكر الجنس والفصل، وتفكيك السمات الدلالية للشيء المُعرَّف ، مع تدعيم التعريف بشواهد سياقية حية من الاستعمال المعاصر لتوضيح كيفية عمل الكلمة في الجملة[1] .

### 8. الحاجة الملحة إلى المعاجم المتخصصة:

يؤكد التواتي أن عصر "المعجم الموسوعي الشامل" الذي يضم ألفاظ الطب والنبات والفلك والأدب قد ولى، ويدعو إلى التوجه نحو صناعة "المعاجم المتخصصة" (معجم للطب، معجم للاقتصاد، معجم للجيولوجيا )، ويرى أن هذا التخصص يضمن دقة التوثيق ويخدم الباحثين المتخصصين بشكل أفضل، مشيراً إلى أن التراث العربي ترك لنا نماذج رائدة من المعاجم المتخصصة (ككتب الخيل، والأنواء، والنبات) التي يمكن البناء على منهجيتها[2] .

### 9. المعجم العربي واللسانيات الحاسوبية (الرقمنة):

من تجليات انفتاح التواتي على المنجز المعاصر، إشاراته إلى ضرورة إدماج اللغة العربية في مجال "اللسانيات الحاسوبية" وصناعة المعجم الرقمي (المدونات اللغوية الإلكترونية)، ويشير إلى أن رقمنة المعاجم ستسهل دراسة التردادات الإحصائية للألفاظ، وتحديد الكلمات المستعملة من المهجورة، وهو ما سيساهم في وضع "معاجم تعليمية" مبنية على شيوع الألفاظ، تتناسب مع مختلف المستويات العمرية والدراسية [3].

### 10. القراءة النقدية الموضوعية للتراث المعجمي:

يختم التواتي جهوده المعجمية بالدعوة إلى قراءة التراث المعجمي قراءة نقدية فاحصة؛ فلا تقديس يُنزّه هذه المعاجم عن الخطأ، ولا تنقيص يلغي قيمتها التاريخية العظيمة، ويرى أن المعاجم الكبرى كـ "لسان

[1]– التواتي بن التواتي ، المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، مرجع سابق، ص 241.

[2]– التواتي بن التواتي، مفاهيم في علم اللسان، مرجع سابق، ص 102.

[3]– التواتي بن التواتي، مرجع نفسه، ص103.

العرب" و"تاج العروس" هي مستودعات لحضارة الأمة، ولكنها بحاجة إلى تنقية من الشواهد الضعيفة، وإعادة ترتيب، واستبعاد للألفاظ المماتة التي تثقل كاهل المتعلم المعاصر، لتكون منطلقاً لصناعة معجم عربي تاريخي حديث [1].

## المبحث الخامس: جهود التواتي بن تواتي البلاغية

### أ- مقاربته التنظيرية والتطبيقية لـ "علم المعاني"

ركز الدكتور التواتي بن تواتي في دراسته لعلم المعاني على ربط القاعدة البلاغية بالاستعمال الفعلي للغة، متجاوزاً الجانب المعياري الجاف إلى الجانب الوظيفي.

- **مفهوم علم المعاني ووظيفته السياقية:** ينظر التواتي بن تواتي إلى علم المعاني على أنه روح البلاغة، حيث يؤكد في طروحاته أن مطابقة الكلام لمقتضى الحال ليس مجرد شرط شكلي، بل هو تفاعل بين النص والمتلقي والسياق، وقد اعتمد في تبيان ذلك على استقراء أمثلة من التراث العربي وتحليلها تحليلاً يبرز كيف تتغير دلالة التركيب بتغير المقامات[2].

- **دراسة الأساليب الخبرية والإنشائية:** لم يكتفِ الباحث بسرد التقسيمات التقليدية للخبر والإنشاء، بل غاص في الأغراض البلاغية التي تخرج إليها هذه الأساليب، ويرى أن خروج الاستفهام أو الأمر عن معناه الحقيقي إلى معانٍ مجازية (كالتعجب، التوبيخ، التمني) يمثل أداة تعبيرية تعكس الانفعال النفسي للمتكلم، وهو ما طبقه بكثرة على النصوص القرآنية والشعرية[3].

- **نظرية النظم وتجلياتها في فكره البلاغي:** تأثر التواتي بن تواتي بشدة بنظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني، حيث جعلها منطلقاً لتحليل التراكيب، فقد أكد أن المزية لا تكمن في الألفاظ المفردة ولا في المعاني المجردة، بل في طريقة رصفها ونظمها وفق قوانين النحو العربي، مما يخلق تماسكاً نصياً ودلالياً فريداً.

---

[1]- التواتي بن التواتي ، مباحث في فقه اللغة العربية، مرجع سابق، ص 273.

[2]- التواتي بن تواتي، **علم المعاني**، دار الوعي، الجزائر.

[3]- "جهود التواتي بن تواتي في تيسير البلاغة العربية"، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، جامعة عمار ثليجي بالأغواط، الجزائر.

**ب- إسهاماته في تجديد دراسة "علم البيان"**

سعى الدكتور التواتي إلى تحرير علم البيان من قيود التقسيمات المنطقية المعقدة، مركزاً على الجمالية التصويرية.

- **التشبيه: بين التنظير وصناعة الصورة:** يعالج التواتي التشبيه باعتباره اللبنة الأولى للتصوير البياني. وقد ركز في تحليلاته على التشبيه التمثيلي والضمني، معتبراً إياهما أرقى أنواع التشبيه لأنهما يتطلبان إعمالاً للعقل وتخيلاً واسعاً من المتلقي لربط الصورة المتعددة الأجزاء بالمعنى المراد إيصاله[1].

- **الاستعارة وآلياتها الدلالية في الخطاب:** يرى التواتي أن الاستعارة ليست مجرد تشبيه حُذف أحد طرفيه، بل هي عملية انزياح دلالي تخلق عوالم جديدة، وقد درس الاستعارة التبعية والمكنية مطبقاً إياها على النص القرآني ليبرز كيف تساهم الاستعارة في تجسيد المعاني المجردة وإبرازها في صورة محسوسة تقرب الفهم[2].

- **المجاز والكناية وارتباطهما بالبيئة والثقافة:** أولى الباحث اهتماماً بالكناية والمجاز المرسل، موضحاً أن فهم العلاقات المجازية (كالسببية، والمسببية، والجزئية) يتطلب إلماماً واسعاً بثقافة العرب وبيئتهم، ويوضح كيف أن الكناية تقدم المعنى مصحوباً بالدليل عليه، مما يمنح الخطاب قوة حجاجية وإقناعية.

**ج- رؤيته لـ "علم البديع" (بين التحسين اللفظي والعمق المعنوي)**

رفض التواتي بن تواتي النظرة القاصرة التي تعتبر علم البديع مجرد "زينة خارجية" أو ألوان طلاء للنص.

- **موقفه من المحسنات البديعية وتجاوز الشكلية:** انتقد التواتي بشدة الإفراط في استخدام المحسنات البديعية الذي ميز عصور الانحطاط (الصنعة المتكلفة)، ودعا إلى العودة للبديع "الطبعي" الذي يأتي عفو الخاطر ويخدم المعنى بالأساس، ولا يكون غاية في حد ذاته.

- **المحسنات المعنوية ودورها في تماسك النص:** ركز في دراساته على المحسنات المعنوية كالطباق، والمقابلة، والتورية، معتبراً إياها أدوات فاعلة في بناء المفارقات الدلالية، فالطباق عنده

[1]- التواتي بن تواتي، **علم البيان**، دار الوعي، الجزائر .

[2]- "الدرس البلاغي عند علماء الجزائر المعاصرين – التواتي بن تواتي أنموذجاً"، رسالة ماجستير.

ليس مجرد تضاد لغوي، بل هو تقنية تساعد على توضيح المعاني، إذ "بضدها تتبين الأشياء"، مما يزيد من عمق النص.

- **المحسنات اللفظية والإيقاع الموسيقي:** أما الجناس والسجع، فقد درسهما من زاوية الإيقاع الصوتي والموسيقى الداخلية للنص، وأكد أن هذه المحسنات متى ما انسجمت مع السياق النفسي للمتكلم، فإنها تخلق جرساً موسيقياً يشد انتباه السامع ويهيئ نفسه لتلقي المعنى[1].

**د- البلاغة والإعجاز القرآني في فكر التواتي بن تواتي**

تتوجت جهود التواتي البلاغية بتطبيقها على النص المعجز، حيث ربط بين القاعدة اللغوية والسر الرباني في القرآن.

- **التوجيه البلاغي لآيات القرآن الكريم:** يعتبر الدكتور التواتي أن البلاغة هي المفتاح الأساسي لفهم إعجاز القرآن، وقد أفرد مساحات واسعة في كتبه لتحليل الآيات بيانياً ومعنوياً، مبيناً أسرار اختيار لفظة دون أخرى في السياق القرآني، وكيف أن العدول عن الأصل النحوي في القرآن دائماً ما يكون لغرض بلاغي دقيق[2].

- **دلالة الألفاظ والفاصلة القرآنية:** درس الباحث التناسب بين الآيات ومقاطع السور (المناسبة القرآنية)، كما توقف طويلاً عند "الفاصلة القرآنية"، مثبتاً أنها ليست مجرد قافية صوتية لتجميل الختام، بل هي مرتبطة ارتباطاً عضوياً بموضوع الآية ومعناها الدلالي.

- **البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني:** من خلال قراءته للبلاغة القرآنية، اقترب التواتي بن تواتي من المناهج التداولية الحديثة، حيث حلل أساليب الحوار والإقناع في القرآن الكريم، وكيف يخاطب النص القرآني مختلف المستويات العقلية والنفسية للمتلقين بأدوات بلاغية عالية الدقة.

**هـ- المنهج التعليمي والأكاديمي في مقاربته للبلاغة**

لم يكن التواتي بن تواتي باحثاً فقط، بل كان أستاذاً جامعياً يسعى لتذليل صعوبات البلاغة للطلبة.

---

[1]- "البعد الجمالي في الدرس البلاغي الجزائري المعاصر"، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، المركز الجامعي تامنغست.

[2]- التواتي بن تواتي، **مباحث في علوم القرآن**، دار الوعي، الجزائر.

- **تيسير البلاغة وتقريبها للمتعلم المعاصر:** تميز منهجه بالابتعاد عن التعقيدات الفلسفية والمنطقية التي أثقلت كاهل البلاغة القديمة (كمباحث السكاكي). واعتمد أسلوباً تعليمياً مباشراً يركز على التطبيق أكثر من التنظير، مستخدماً لغة واضحة وأمثلة قريبة من ذهن الطالب.

- **المزاوجة بين التراث اللغوي واللسانيات الحديثة:** يُحسب للدكتور التواتي انفتاحه على المناهج اللسانية الحديثة (كالتداولية والأسلوبية) دون التفريط في الأصالة والتراث البلاغي العربي، وقد وظف بعض مصطلحات اللسانيات الحديثة في شرح قضايا بلاغية قديمة لتجديد دمائها[1].

- **النقد البلاغي والتحليل النصي:** رسخ التواتي لدى طلبته منهجية "التحليل النصي" بدلاً من الحفظ الآلي للقواعد، فجهوده التعليمية انصبت على خلق "ملكة بلاغية ذوقية" لدى الباحث الجزائري، تمكنه من نقد النصوص الأدبية وتذوق جمالياتها بناءً على معايير علمية واضحة.

[1]– التواتي بن تواتي، **مبادئ في اللسانيات**، مرجع سابق.

## المبحث السادس: جهود التواتي بن تواتي في اللسانيات وفقه اللغة

### أ- جهود التواتي بن تواتي في اللسانيات

#### 1. مقاربته للمدارس اللسانية الحديثة (البنيوية والتوليدية)

عالج الدكتور التواتي بن تواتي النظريات اللسانية الغربية الحديثة بوعي نقدي، محاولاً تقريب مفاهيمها المعقدة للباحث والطالب الجزائري دون الإخلال بعمقها العلمي.

- **استيعاب المفاهيم اللسانية وتيسيرها:** لم يكتفِ الباحث بنقل المصطلحات اللسانية الغربية (السوسيرية والتشومسكية)، بل اجتهد في تفكيك مبادئها وتوضيحها، فقد تناول ثنائيات دي سوسير (اللغة والكلام، الدال والمدلول) بالشرح والتحليل، مبيناً كيف أحدثت البنيوية ثورة في النظر إلى اللغة كنسق مغلق يدرس في ذاته ولذاته.
- **الموقف النقدي من المناهج الغربية:** رغم إشادته بالدقة المنهجية للسانيات الغربية، إلا أن التواتي بن تواتي حذر من الإسقاط العشوائي لهذه المناهج على اللغة العربية، ودعا إلى ضرورة تكييف أدوات التحليل البنيوي والتوليدي لتتناسب مع خصوصية التركيب النحوي العربي، رافضاً التبعية المنهجية العمياء[1].

#### 2. العناية باللسانيات التداولية وتحليل الخطاب

تُعد التداولية من أبرز الحقول اللسانية التي لفتت انتباه التواتي بن تواتي، نظراً لتقاطعها الشديد مع علم المعاني في البلاغة العربية.

- **مركزية السياق والمقام في التحليل:** ركز الدكتور التواتي على أن المعنى اللساني لا يكتمل إلا باستحضار "السياق التداولي" ومقاصد المتكلم، وقد بيّن في دراساته كيف أن الأفعال الكلامية تتحدد دلالتها بناءً على شروط الإنتاج والتلقي، مما يوسع دائرة التحليل اللساني من الجملة المعزولة إلى النص الحي.

[1]- التواتي بن تواتي، **مبادئ في اللسانيات**، مرجع سابق.

- **تطبيق المقاربة التداولية على النص العربي:** حاول الباحث إسقاط الآليات التداولية على نصوص عربية متنوعة، مبرزاً كيف يمكن توظيف نظرية "الاستلزام الحواري" و"أفعال الكلام" في فهم الخطاب الأدبي والشرعي، مما يؤكد مرونة اللغة العربية وقابليتها للتحليل وفق أحدث المناهج اللسانية العالمية[1].

### 3. إشكالية التقاطع بين اللسانيات الحديثة والتراث اللغوي العربي

من أهم إسهامات التواتي بن تواتي محاولته الجادة لردم الهوة بين الموروث النحوي والبلاغي العربي وبين مكتشفات اللسانيات المعاصرة.

- **التأصيل التراثي للمفاهيم اللسانية:** تتبع التواتي جذور بعض النظريات اللسانية الحديثة في التراث العربي، مشيراً إلى أن فكرة "النظم" عند عبد القاهر الجرجاني تحمل إرهاصات مبكرة للمنهج البنيوي والتوليدي، وأن اهتمام الأصوليين والبلاغيين القدامى بـ "مقتضى الحال" يمثل البذرة الأولى للتداولية.

- **رفض القطيعة المعرفية:** يقف التواتي بن تواتي موقفاً وسطاً بين الداعين للقطيعة التامة مع التراث، وبين المتقوقعين فيه، فهو يرى أن اللسانيات الحديثة يجب أن تكون امتداداً وتطويراً للجهد اللغوي القديم، بحيث تستفيد من أدوات التحليل المعاصرة في إعادة قراءة المدونة اللغوية العربية برؤية جديدة[2].

## ب- <u>جهود التواتي بن تواتي في فقه اللغة</u>

### 4. دراساته حول نشأة اللغة العربية وخصائصها الذاتية

لم يغفل التواتي بن تواتي الجانب الفيلولوجي (فقه اللغة)، حيث خصص حيزاً هاماً من أبحاثه للبحث في طبيعة اللغة العربية وأسرارها.

- **قضية نشأة اللغة (بين التوقيف والاصطلاح):** ناقش الباحث الآراء القديمة والحديثة حول نشأة اللغة العربية، واستعرض أدلة القائلين بالإلهام والتوقيف، وأدلة القائلين بالمواضعة والاصطلاح،

[1]- "تلقي المناهج اللسانية الحديثة عند اللغويين الجزائريين – دراسة في جهود التواتي بن تواتي"، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح ورقلة،

[2]- "الجهود اللسانية في الجزائر المعاصرة: بحث في المرجعيات والتطبيقات"، كلية الآداب واللغات، رسالة ماجستير.

مرجحاً الرؤية التوفيقية التي تجمع بين الاستعداد الفطري الذي وهبه الله للإنسان، والتطور الاجتماعي الذي يصقل اللغة ويوسع معجمها.

- **الخصائص الصوتية والاشتقاقية للعربية:** أبرز التواتي عبقرية اللغة العربية من خلال خصائصها الذاتية، وعلى رأسها "الاشتقاق" بجميع أنواعه (الصغير، الكبير، والأكبر)، واعتبر أن الاشتقاق هو آلية التوليد الأولى التي تضمن للعربية حيويتها وقدرتها على استيعاب المستجدات الحضارية دون الخروج عن جذورها الصوتية الأصلية[1].

### 5. معالجته للظواهر الدلالية والمعجمية (الترادف والتضاد)

توقف التواتي بن تواتي طويلاً عند الظواهر الدلالية التي أثارت جدلاً بين فقهاء اللغة القدامى، مقدماً قراءة تحليلية دقيقة لها.

- **موقفه من ظاهرة الترادف والفروق اللغوية:** يميل الدكتور التواتي إلى رأي المانعين للترادف المطلق (التطابق التام في المعنى)، ويؤكد، أسوة بأبي هلال العسكري، أن كل كلمة عربية تحمل شحنة دلالية دقيقة تميزها عن مرادفتها، وأن هذا التباين الدقيق هو الذي يمنح النص الأدبي أو القرآني دقته الإعجازية وتلوينه البياني.

- **المشترك اللفظي والأضداد وتطور المعنى:** درس الباحث ظاهرتي المشترك اللفظي (الكلمة الواحدة لعدة معانٍ) والأضداد (الكلمة التي تدل على المعنى وضده)، وأرجع هذه الظواهر إلى تطور الدلالة اللغوية عبر الزمن، واختلاف لهجات القبائل العربية، مؤكداً أن السياق (القرينة اللفظية أو الحالية) هو المعيار الوحيد الذي يحدد المعنى المقصود ويزيل اللبس عن المتلقي[2].

---

[1]– التواتي بن تواتي، **فقه اللغة العربية وخصائصها**، ديوان المطبوعات الجامعية أو دار الوعي، الجزائر.

[2]– "مباحث الدلالة في فقه اللغة عند علماء الجزائر"، مجلة المقري للدراسات اللغوية، جامعة المسيلة.

## المبحث السابع: جهود التواتي بن تواتي في تفسير القرآن الكريم وفي علومه

شكلت الدراسات القرآنية تتويجاً للجهود اللغوية عند الدكتور التواتي بن تواتي؛ حيث لم يفصل في دراساته بين القاعدة اللغوية أو البلاغية وبين تطبيقها على النص القرآني المعجز، وقد انطلق في مقاربته من قناعة راسخة بأن فهم كلام الله لا يستقيم إلا بالتمكن من علوم الآلة.

### أ- مقاربته لعلوم القرآن والتوجيه اللغوي للقراءات القرآنية

اهتم التواتي بن تواتي بعلوم القرآن الكريم، وجعل من القراءات القرآنية المتواترة، وعلى رأسها قراءة الإمام نافع (برواية ورش)، ميداناً خصباً للتحليل اللساني والدلالي، مبيناً كيف يثري تعدد القراءات المعنى ولا يناقضه.

- **التوجيه اللغوي والدلالي لرواية ورش:** توقف الباحث عند الفرائد اللغوية في رواية ورش عن نافع (وهي الرواية المعتمدة في الجزائر والمغرب الإسلامي)، مبرزاً أثرها في اتساع المعنى. ففي قوله تعالى: ﴿وَمَا يُخَٰدِعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ [البقرة: 9] (قرأها ورش بضم الياء وفتح الخاء وألف بعدها)، يوجه التواتي هذه القراءة توجيهاً بلاغياً دقيقاً؛ فصيغة "المفاعلة" تدل على استمرارية المحاولة وتكلف المخادعة من المنافقين، مما يصور حالتهم النفسية المضطربة بشكل أبلغ من القراءات الأخرى، وهو ما يثبت إعجاز النظم القرآني وتكيفه مع المعاني الدقيقة[1].
- **أسباب النزول والمكي والمدني في ميزان السياق:** يربط التواتي بين أسباب النزول وبين مباحث "علم المعاني" (مقتضى الحال)، ويرى أن تحديد المكي والمدني ليس مجرد تأريخ زمني، بل هو أداة ضرورية لفهم التدرج في التشريع، وتغير أساليب الخطاب (بين الشدة واللين، والطول والقصر) بما يناسب حال المخاطبين في كل مرحلة.

[1]- التواتي بن تواتي، **مباحث في علوم القرآن**، مرجع سابق.

**ب- التفسير البياني والكشف عن وجوه الإعجاز النظمي**

يعد التفسير البياني المساحة الأبرز التي تجلت فيها براعة التواتي بن تواتي، حيث جعل من النص القرآني المرجعية العليا للحكم على القواعد البلاغية.

- **الإعجاز البلاغي والعدول الأسلوبي:** أكد الباحث أن القرآن الكريم يعمد أحياناً إلى العدول عن القاعدة النحوية أو الأسلوبية المألوفة لغرض بلاغي أعمق، مصداقاً لما أشار إليه النبي ﷺ في فضل البيان، فقد روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا» (صحيح البخاري، كتاب الطب، باب إن من البيان لسحرا، رقم: 5767)، هذا "السحر الحلال" يتجلى في انتقاء القرآن لألفاظه.

- **التناسب الصوتي والدلالي في الفاصلة القرآنية:** في دراسته للفواصل القرآنية، أثبت التواتي أنها ليست مجرد قوافي كقوافي الشعر، بل هي كلمات ترتبط ارتباطاً عضوياً بمعنى الآية، وقد أورد في تحليلاته كيف أن ختام الآيات بأسماء الله الحسنى (الغفور، الرحيم، العزيز، الحكيم) يأتي متوافقاً تماماً مع سياق الرحمة أو العذاب[1].

**ج- توظيف الشواهد الشعرية في تفسير غريب القرآن**

يدرك التواتي بن تواتي، باعتباره فقيهاً للغة، أن الشعر العربي هو ديوان العرب، وهو المفتاح الأول لفهم الألفاظ القرآنية الغريبة.

- **الشعر الجاهلي كمعجم سياقي:** اعتمد الباحث في تفسيره للغريب على تتبع دلالة اللفظة في الشعر الجاهلي والإسلامي قبل نزول القرآن، ليوضح كيف ارتقى القرآن بالدلالة الوضعية للكلمة إلى دلالة اصطلاحية شرعية، وهو يتمثل في ذلك منهج السلف الصالح في الاحتجاج بالشعر لدفع أي إيهام بالقصور اللغوي، وفي بيان جمال لغة القرآن وسموها عن سائر الكلام، نستحضر قول الإمام البوصيري في برأته متحدثاً عن معجزة القرآن:

جَاءَ النَّبِيُّونَ بِالآيَاتِ فَانْصَرَمَتْ *** وَجِئْتَنَا بِحَكِيمٍ غَيْرِ مُنْصَرِمِ آيَاتُهُ كُلَّمَا طَالَ المَدَى جُدُدٌ *** يَزِينُهُنَّ جَلَالُ العِتْقِ وَالقِدَمِ يَكَادُ فِي لَفْظِهِ مِنْ نُورِ سِرِّهِمِ *** يَذُوبُ مِنْ سَلْسَلٍ فِيهِ وَمِنْ شَبَمِ

[1]- التواتي بن تواتي، **مرجع سابق**.

- **استثمار المعاجم اللغوية في التفسير:** لم يكتف التواتي بالشواهد الشعرية، بل قاطعها مع ما ورد في المعاجم العربية الأصيلة (كلسان العرب ومقاييس اللغة)، ليثبت أن القرآن استوعب كل طاقات اللغة العربية وأفردها في صياغة لا تضاهى[1].

**د- الإسهام في تأصيل "التفسير اللساني" المعاصر**

حاول التواتي بن تواتي أن يقدم قراءة تجديدية منضبطة لعلوم القرآن، مستفيداً من معطيات اللسانيات الحديثة دون المساس بقدسية النص.

- **الحجاج القرآني والمقاربة التداولية:** درس الباحث أساليب الإقناع والمناظرة في القرآن الكريم من منظور المقاربة التداولية، وبين كيف أن النص القرآني يتدرج مع الخصوم في الحجة، وينتقل من التسليم الجدلي إلى الإفحام، مستدلاً بالآيات التي حاورت المشركين وأهل الكتاب.

- **البعد التداولي في الخطاب النبوي المفسِّر:** يربط التواتي التفسير القرآني بالسنة النبوية الشارحة، معتبراً أن النبي ﷺ هو المبيّن الأول لأسرار التنزيل، فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» (صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، رقم: 5027). ويندرج ضمن هذا التعليم تبيان وجوه إعجازه وأحكامه.

**هـ- منهجية التواتي بن تواتي بين الأصالة والمعاصرة في التفسير**

يخلص هذا المطلب إلى تقييم شامل لجهود التواتي بن تواتي في حقلي التفسير وعلوم القرآن، من خلال إبراز سماته المنهجية.

- **الوسطية في توظيف المناهج:** تميز منهج التواتي بالاعتدال؛ فهو يرفض القراءات الحداثية المتطرفة التي تسقط النظريات المادية الغربية على النص القرآني وتنزع عنه قدسيته، وفي المقابل، يرفض الجمود عند حدود التفسير الظاهري المغلق، ويدعو إلى تدبر مستمر لآيات الله في الآفاق وفي اللغة.

[1]- التواتي بن تواتي، **فقه اللغة العربية وخصائصها**، مرجع سابق.

- **البصمة الجزائرية في الدراسات القرآنية:** أضافت أعمال التواتي بن تواتي لبنة مهمة للمكتبة الإسلامية والجزائرية خصوصاً، حيث جسد امتداداً لمدرسة العلماء والمفسرين الجزائريين الذين نافحوا عن لغة الضاد واعتبروها السياج الحامي للهوية الإسلامية في مواجهة التغريب[1].

## المبحث الثامن: الدراسات التي أقيمت حول الدكتور التواتي بن تواتي (عرض ونقد)

حظيت المدونة اللغوية والبلاغية للدكتور التواتي بن تواتي باهتمام بالغ من قبل الباحثين في الجامعات الجزائرية والعربية، وتنوعت هذه الدراسات بين كتب مستقلة، ومقالات محكمة، وندوات علمية، حاولت جميعها سبر أغوار فكره اللغوي.

### أ- الكتب والمؤلفات الأكاديمية التي تناولته بالدراسة

رغم أن الكثير من الدراسات حول الرجل لا تزال في أروقة الجامعات، إلا أن هناك مؤلفات مطبوعة خصصت حيزاً معتبراً لدراسة منهجه، خاصة ضمن الموسوعات التي تؤرخ لجهود علماء الجزائر.

- **موقعه ضمن معاجم وتراجم اللغويين الجزائريين:** تناولت بعض الكتب التراجمية مسيرة التواتي بن تواتي العلمية، وركزت على نشأته، وتكوينه، ومؤلفاته، باعتباره امتداداً لجيل العلماء المخضرمين الذين جمعوا بين التكوين المحظري الأصيل والتكوين الأكاديمي المعاصر. وقد أبرزت هذه الكتب دوره في الحفاظ على الهوية اللغوية في الجزائر[2].

- **الدراسات التي قاومت الفكر البلاغي الجزائري:** هناك كتب نقدية تتبعت الدرس البلاغي في الجزائر المعاصرة، وجعلت من مؤلفات التواتي (كعلم المعاني والبيان) مادة تطبيقية، وخلصت هذه المؤلفات إلى أن التواتي استطاع أن يبسط البلاغة دون أن يخل بعمقها التراثي[3].

### ب- المقالات العلمية المحكمة والدراسات الدورية

تشكل المقالات المنشورة في المجلات العلمية الجزائرية (عبر بوابةASJP ) الرصيد الأكبر من الدراسات التي قاربت جهود التواتي بن تواتي، نظراً لتخصصها الدقيق ومواكبتها المستمرة.

---

[1]- التواتي بن تواتي، **علم البيان**، باب الاستعارة في القرآن الكريم، مرجع سابق.

[2]- بن لعبون أحمد، جهود علماء الجزائر في خدمة اللغة العربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2018.

[3]- قسول محمد، الخطاب البلاغي في الجامعة الجزائرية: الأعلام والمناهج، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، 2020.

- **المقالات التي قاربت جهوده في اللسانيات وفقه اللغة:** ركزت العديد من الأوراق البحثية على موقفه من اللسانيات الغربية ومحاولته التأصيل لها من التراث. وقد أشادت هذه المقالات بمنهجه التوفيقي، وبتطبيقاته الميدانية على النص القرآني والشعري[1].

**المقالات المتخصصة في الدرس البلاغي والقرآني:** توجهت أبحاث أخرى لدراسة أسلوبه في التفسير البياني، وكيفية استثماره لعلوم الآلة في توجيه القراءات القرآنية، وبينت هذه المقالات قدرته على استخراج اللطائف البلاغية التي تخدم المعنى الشرعي[2].

**ج- الرسائل والأطروحات الجامعية (ماجستير ودكتوراه )**

كانت أعمال التواتي بن تواتي ولا تزال مادة دسمة لمذكرات التخرج في كليات الآداب واللغات في مختلف جامعات الوطن (الأغواط، ورقلة، المسيلة، العاصمة )

- **الأطروحات التي درست البعد التعليمي في مؤلفاته:** ركزت بعض مذكرات الماجستير على الجانب الديدكتيكي (التعليمي) عند الرجل، وكيف استطاع من خلال كتبه المقررة على الطلبة أن يذلل صعوبات النحو والبلاغة، مقارنة بغيره من المؤلفين[3].

- **الرسائل التي تتبعت جهوده في تحقيق التراث:** إلى جانب التأليف، درس باحثون آخرون جهود التواتي في تحقيق المخطوطات ونشر التراث اللغوي الإسلامي، مبرزين أمانته العلمية ودقته في ضبط النصوص وتخريج الأحاديث والشواهد[4].

---

[1]- طاهري، عبد القادر، "الدرس اللساني عند التواتي بن تواتي: قراءة في المرجعيات والآليات"، مجلة الأثر 15، عدد 2 ،2021. جامعة قاصدي مرباح ورقلة.

[2]- مرزوقي، حليمة، "جماليات التلقي البلاغي للقرآن الكريم في فكر التواتي بن تواتي"، مجلة المقري للدراسات اللغوية 8، عدد 1 2022، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة.

[3]- بوعزيز، فاطمة، "المنهج التعليمي في المؤلفات اللغوية والبلاغية للتواتي بن تواتي"، رسالة ماجستير، جامعة عمار ثليجي بالأغواط، 2019.

[4]- لعريبي، سمير، "جهود علماء الأغواط في خدمة اللغة العربية: التواتي بن تواتي أنموذجاً"، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر 2، 2021.

**د- المؤتمرات والندوات العلمية والملتقيات**

لم يقتصر الاحتفاء بجهود الدكتور التواتي على المكتوب، بل تعداه إلى المنابر الأكاديمية والمحافل العلمية التي كرمته وناقشت فكره.

- **الملتقيات الوطنية المتخصصة في جهود علماء المنطقة:** نظمت العديد من الجامعات، وعلى رأسها جامعة عمار ثليجي بالأغواط، ملتقيات وطنية حول جهود علمائها، وكان للتواتي بن تواتي نصيب الأسد من المداخلات التي تناولت سيرته ومنهجه الاستدلالي[1].
- **الندوات التكريمية والأيام الدراسية:** أقيمت عدة أيام دراسية تناولت بالتحليل كتبه المطبوعة فور صدورها، حيث قدم أساتذة وباحثون قراءات نقدية في كتبه مثل "مباحث في علوم القرآن" و"فقه اللغة العربية"، مما أثرى النقاش حول هذه المؤلفات وفتح آفاقاً جديدة للطلبة.

**هـ- القراءة النقدية في حصيلة هذه الدراسات (الفجوة البحثية)**

لا يكتمل عرض الدراسات السابقة إلا ببيان ما أضافته، وما سكتت عنه، لتبرير الحاجة إلى البحث الحالي.

- **تقييم الدراسات السابقة:** يُلاحظ أن أغلب الدراسات التي تناولت التواتي بن تواتي اتسمت بطابع الوصف والاحتفاء، وهو أمر مبرر لمكانة الرجل، إلا أن المكتبة لا تزال بحاجة إلى دراسات نقدية تحليلية أعمق تربط فكره بالمدارس اللسانية المعاصرة بشكل أدق.
- **موقع المذكرة الحالية من هذه الدراسات:** تأتي هذه المذكرة (عنوان مذكرتك) لتسد فراغاً في (تحدد هنا بدقة ما يميز بحثك: مثلاً التركيز الصارم على الجانب اللغوي التطبيقي، أو دراسة ظاهرة معينة في كتبه لم تأخذ حظها الوافر من البحث السالف)، متجاوزة العرض الوصفي إلى التحليل والاستنتاج.

[1] – أعلام منطقة الأغواط وجهودهم في خدمة الثقافة العربية الإسلامية، أعمال الملتقى الوطني الأول، مخبر الدراسات اللغوية والأدبية، الأغواط، 2017.

## خلاصة

يقدم الفصل الثاني من الدراسة استعراضاً تطبيقياً شاملاً ومفصلاً للمشروع اللساني واللغوي الذي أسسه الأستاذ الدكتور التواتي بن التواتي، مبرزاً إسهاماته العميقة في مختلف مستويات التحليل اللغوي والتراثي.

تتجلى **جهوده الصوتية** في اعتباره علم التجويد والقراءات القرآنية اللبنة الأساسية الأولى لعلم الأصوات العربي، حيث قدم مقاربة تجمع بين الوصف التشريحي النطقي الدقيق لمخارج الحروف والتحليل الفيزيائي، مدافعاً بشراسة عن أصالة الدرس الصوتي عند العرب وريادة المدرسة الخليلية، ليتجه بعدها نحو **مقارباته الصرفية** التي ركزت على إبراز عبقرية التصريف العربي، متناولاً أوزان الأفعال وتطورها الدلالي، والاشتقاق كآلية حيوية لتوليد المعجم، والتداخل المورفوفونولوجي، مع سعيه الدائم إلى تيسير الصرف التعليمي للمتعلمين وتطبيق المفاهيم اللسانية الحديثة كالمورفيم على البنية العربية.

أما في **ميدان النحو وأصوله**، فقد برزت بصمته الأكاديمية بوضوح من خلال تفكيكه للتقاطعات المعرفية بين أصول النحو وأصول الفقه، حيث يدعو إلى نحو وظيفي يخدم المعنى بالدرجة الأولى، ويناقش بوعي نقدي نظرية العامل النحوي والخلافات المذهبية، جاعلاً من النص القرآني المرجعية العليا للسماع والتقعيد، وفي **الجانب الدلالي والمعجمي**، يؤصل التواتي للبحث الدلالي في التراث العربي مستعرضاً قضايا الترادف، والتضاد، والمشترك اللفظي، والسياق، ويدعو إلى تحديث الصناعة المعجمية لتواكب العصر عبر تفعيل آليات التعريب، وتطوير المعاجم المتخصصة، واستثمار اللسانيات الحاسوبية.

وتكتمل هذه المنظومة بـ **إسهاماته البلاغية** التي حررت علوم المعاني والبيان والبديع من الجمود الشكلي والمنطقي، لتربطها بالاستعمال الفعلي والإعجاز القرآني، بينما تعكس **جهوده في اللسانيات الحديثة وفقه اللغة** موقفه المعتدل الذي يجمع بين استيعاب المناهج الغربية كالبنيوية والتوليدية ونقدها، وبين التأصيل لها من الموروث العربي الأصيل، وتتوج هذه المسيرة الممتدة بـ **منهجه في تفسير القرآن الكريم**، حيث يوظف اللسانيات في التوجيه الدلالي للقراءات القرآنية، ويستثمر الشواهد الشعرية لتفسير غريب القرآن بمنهج وسطي أصيل، ليختتم الفصل برصد وتقييم **الدراسات الأكاديمية والجامعية السابقة** التي حاولت سبر أغوار فكره، لتأكيد أهمية هذه المذكرة في سد الفجوات البحثية المتبقية حول مشروعه اللغوي الشامل.

# خاتمة

## خاتمة

تأسيساً على ما سبق طرحه ومناقشته في فصول هذه المذكرة ومباحثها، نصل إلى ختام هذا البحث الذي استقصى ملامح الفكر اللغوي عند الدكتور "تواتي بن تواتي"، ونلخص أهم ما جاء فيه وفق النقاط الآتية:

**أ- عرض مختصر للآراء المختلفة المتعلقة بموضوع البحث:** تباينت الرؤى الأكاديمية في مقاربة الدرس اللغوي العربي بين تيارين أساسيين: تيارٍ يرى في التراث اللغوي مادةً تاريخيةً جامدة يجب الاكتفاء بشرحها وتقديسها، وتيارٍ آخر انبرى لاستيراد النظريات اللسانية الغربية وتطبيقها بشكلٍ آلي على اللغة العربية دون مراعاة لخصوصيتها، وفي المقابل، برز رأيٌ وسيط -يمثله الدكتور تواتي بن تواتي- يرى أن النهضة اللغوية لا تتحقق إلا من خلال "المثاقفة الواعية"، حيث يتم استنطاق التراث بأدوات حديثة، وإعادة قراءة "المدرسة الخليلية" ومنجزات السلف بروح معاصرة، وهو ما يُعرف بـ "التطعيم المنهجي" الذي يوفق بين أصالة المادة وحداثة المنهج.

**ب- النتائج المستخلصة من الدراسة:**

1. **أصالة المدرسة اللسانية الجزائرية:** أثبت البحث أن الجهد اللغوي في الجزائر لم يكن مجرد صدىً لما يُنتج في المشرق، بل هو مدرسة قائمة بذاتها تتميز بالدقة المنهجية والنزعة التعليمية (الديداكتيكية).

2. **التحول نحو الوظيفية والتداولية:** خلصت الدراسة إلى أن النحو عند التواتي ليس هيكلاً شكلياً، بل هو أداة لخدمة "المعنى" وتحليل السياق، مما يجعل فكره متسقاً مع أحدث نظريات اللسانيات التداولية.

**3. محورية النص القرآني:** استنتج البحث أن القرآن الكريم ظل هو المحرك الأساس والمنطلق التطبيقي الأبرز الذي استثمر فيه الباحث أدواته اللسانية لإثبات وجوه الإعجاز النظمي والبياني.

3. **التيسير البيداغوجي:** نجح مشروع التواتي في تخليص العلوم اللغوية من التعقيدات المنطقية والفلسفية الموروثة، وتقديمها في قالب ميسر يناسب احتياجات الطالب الجامعي المعاصر.

**ج- الملاحظات العلمية للباحث:** من خلال معايشتنا لهذا المشروع المعرفي، نسجل الملاحظات الآتية:

- **النضج المنهجي:** نلاحظ أن الدكتور تواتي بن تواتي لم يقع في فخ "الانبهار الساذج" بالغرب، بل امتلك رؤية نقدية سمحت له بانتقاء ما يخدم اللغة العربية من (البنيوية والتوليدية والتداولية) دون التنازل عن الثوابت التراثية.

- **التلاحم المعرفي:** يُسجل للباحث قدرته الفائقة على الربط بين "علوم الآلة" (اللغة) و"العلوم الشرعية"، مما أعاد للدرس اللغوي دوره الحيوي في فهم النص الديني.

- **السبق العربي:** نلاحظ أن إعادة قراءة التراث بالأدوات الحديثة كشفت عن "بذور تداولية" و"بنيوية" كانت حاضرة عند علمائنا القدماء، وهو ما أكده التواتي ببراعة في دراساته.

**د- التوصيات والاقتراحات:** بناءً على ما توصل إليه البحث، نتقدم بالتوصيات الآتية:

1. **تعميق الدراسات المقارنة:** ندعو الباحثين إلى عقد مقارنات موسعة بين مخرجات مدرسة تواتي بن تواتي والمدارس اللسانية الغربية الحديثة لاستجلاء المزيد من نقاط التقاطع والتميز.

2. **التوجه نحو اللسانيات الحاسوبية:** نوصي بضرورة استثمار هذه الرؤى الوظيفية الميسرة في تطوير برمجيات تعليم اللغة العربية وتوظيفها في مجال الذكاء الاصطناعي واللسانيات الحاسوبية.

3. **تطوير المناهج الجامعية:** نقترح اعتماد المقاربات التيسيرية التي قدمها الدكتور تواتي في المناهج الدراسية، لتخليص الطلاب من استغلاق القواعد النحوية الكلاسيكية.

4. **التوثيق لمآثر الأعلام الوطنية:** نوصي بمواصلة تسليط الضوء على القامات العلمية الجزائرية المعاصرة، وإبراز دورها في حماية الهوية اللغوية الوطنية في ظل تحديات العولمة.

# فهرس المحتويات

# فهرس المحتويات

الملخص .....6
*شكر وعرفان* .....3
*إهداء* .....4
فهرس المحتويات.....**Error! Bookmark not defined.**
مقدمة .....10
مدخل: التعريف بالعلامة "التواتي بن التواتي".....8
1. النشأة الدينية والوطنية والتكوين الأكاديمي:.....19
2. المسار المهني والمناصب العلمية:.....19
3. الإنتاج العلمي والمؤلفات اللغوية: .....20
4. تحقيق التراث اللغوي المخطوط وإخراجه للباحثين.....21
5. منهجه في مقاربة التراث اللساني: .....21
6.البعد التعليمي (الديداكتيكي) في مشروعه اللساني .....22
7. جهوده في العناية بالمصطلح اللساني وضبط المفاهيم .....23
8. جهوده المؤسساتية في الدفاع عن الهوية اللغوية والتعريب .....23
9. التداخل المعرفي بين العلوم الشرعية واللغوية في فكره .....24
10. العناية بالدراسات اللهجية والدرس الصوتي التراثي .....24
11. الأثر العلمي وجهوده في تأطير الباحثين وتخريج الكفاءات.....24
12. حضوره الفاعل في الملتقيات العلمية وتنشيط الحراك الأكاديمي .....25
13. موقفه من قضية التعريب والأمن اللغوي في الجزائر .....25
14. التلقي النقدي لمشروعه اللساني في الدراسات الجامعية.....26
الفصل الأول: الإطار النظري –الجهود اللغوية عند علماء العربية– .....27
تمهيد:.....28
المطلب الأول: مخاض التأسيس في عصر صدر الإسلام (البدايات والإرهاصات) .....28
المطلب الثاني: العصر الأموي وتبلور المنهج الاستقرائي (مرحلة النضج الأولي) .....31

المطلب الثالث: العصر العباسي والنهضة اللغوية الشاملة (مرحلة النضج والتدوين ).....35
المطلب الرابع: عصر الانحطاط (مرحلة الموسوعية وحماية الذاكرة اللغوية).....38
المبحث الثاني: جهود علماء العربية القدامى في المغرب الإسلامي– المغرب العربي والاندلس–.....42
تمهيد .....42
1. نشأة الدرس اللغوي في المغرب الإسلامي ومراكز الإشعاع الأولى.....42
2. التفاعل مع المدرستين البصرية والكوفية وتأسيس المنهج المغاربي.....43
3. التأليف المعجمي وصناعة القواميس اللغوية.....43
4. تيسير النحو العربي وابتكار المنظومات التعليمية.....44
5. جهود العلماء في علم الأصوات والتجويد .....45
6. التصدي لظاهرة اللحن وحماية الفصحى .....45
7. تطوير البلاغة والنقد الأدبي.....46
8. دور الحواضر العلمية والزوايا في نشر علوم العربية.....47
9. العروض والقوافي وتطويع الأوزان الشعرية.....47
10. تلاحم علوم اللغة العربية مع العلوم الشرعية.....48
11. التأليف في فقه اللغة والبحث الدلالي (الاشتقاق والدخيل).....48
12. التصنيف في تراجم اللغويين والنحاة (التأريخ للدرس اللغوي).....49
13. التعقبات والردود اللغوية بين علماء المغرب والمشرق.....49
14. إسهام المرأة المغاربية والأندلسية في الدرس اللغوي والأدبي.....50
المبحث الثالث: الجهود اللغوية لعلماء الجزائر.....51
أ– الجهود اللغوية لعلماء الجزائر قديماً .....51
ب– الجهود اللغوية لعلماء الجزائر حديثاً.....55
خلاصة.....
الفصل الثاني: تطبيقي – جهود تواتي بن تواتي اللغوية– .....61
تمهيد .....62
المبحث الأول: جهود التواتي بن تواتي الصوتية .....62
أ– علم الأصوات والتجويد (الامتداد والتطبيق) .....62

ب– آراؤه الصوتية (في التنظير واللسانيات العامة).....65
المبحث الثاني: جهود التواتي بن تواتي الصرفية وآراؤه الصرفية .....68
أ– جهود التواتي بن التواتي الصرفية (الامتداد والتطبيق).....68
ب– آراؤه الصرفية (في التنظير واللسانيات العامة).....71
المبحث الثالث: جهود التواتي بن التواتي النحوية .....75
1/– مقدمة تأسيسية في فلسفة اللغة العربية وتطور جهازها المفاهيمي .....75
أ– التعريف بعلم أصول النحو (لغة واصطلاحاً).....75
ب– الحدود الفاصلة والمقاربات المنهجية: الفرق بين علم النحو وعلم أصول النحو .....77
ج– الإرهاصات التاريخية ودوافع نشأة علم أصول النحو .....77
د– أقطاب التأليف المرجعي في أصول النحو (بين التراث والمعاصرة).....79
المبحث الرابع: جهود التواتي بن التواتي الدلالية والمعجمية .....95
أ– الدلالة.....95
ب– المعجم .....98
المبحث الخامس: جهود التواتي بن تواتي البلاغية.....101
أ– مقاربته التنظيرية والتطبيقية لـ "علم المعاني".....101
ب– إسهاماته في تجديد دراسة "علم البيان".....102
ج– رؤيته لـ "علم البديع" (بين التحسين اللفظي والعمق المعنوي).....102
د– البلاغة والإعجاز القرآني في فكر التواتي بن تواتي.....103
هـ– المنهج التعليمي والأكاديمي في مقاربته للبلاغة .....103
المبحث السادس: جهود التواتي بن تواتي في اللسانيات وفقه اللغة .....105
أ– جهود التواتي بن تواتي في اللسانيات.....105
ب– جهود التواتي بن تواتي في فقه اللغة .....106
المبحث السابع: جهود التواتي بن تواتي في تفسير القرآن الكريم وفي علومه.....108
أ– مقاربته لعلوم القرآن والتوجيه اللغوي للقراءات القرآنية .....108
ب– التفسير البياني والكشف عن وجوه الإعجاز النظمي.....109
ج– توظيف الشواهد الشعرية في تفسير غريب القرآن.....109

د- الإسهام في تأصيل "التفسير اللساني" المعاصر.....110

هـ- منهجية التواتي بن تواتي بين الأصالة والمعاصرة في التفسير.....110

المبحث الثامن: الدراسات التي أقيمت حول الدكتور التواتي بن تواتي (عرض ونقد).....111

أ- الكتب والمؤلفات الأكاديمية التي تناولته بالدراسة.....111

ب- المقالات العلمية المحكمة والدراسات الدورية.....111

ج- الرسائل والأطروحات الجامعية (ماجستير ودكتوراه ).....112

د- المؤتمرات والندوات العلمية والملتقيات.....113

هـ- القراءة النقدية في حصيلة هذه الدراسات (الفجوة البحثية).....113

خلاصة.....114

خاتمة.....115

قائمة المراجع.....123

الملاحق.....**Error! Bookmark not defined.**

# قائمة المراجع

## قائمة المراجع

### أولاً: القرآن الكريم

1. القرآن الكريم، برواية ورش عن نافع.

### ثانياً: المصادر والمراجع باللغة العربية

2. إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

3. ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ج1.

4. ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، ج2.

5. ابن مالك، الخلاصة (الألفية)، تحقيق: سليمان العيوني.

6. ابن منظور، لسان العرب (المقدمة)، دار صادر، بيروت، ج1.

7. أبو العباس السيرافي، أخبار النحويين البصريين، تحقيق طه الحاجري، دار الاعتصام، القاهرة.

8. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي.

9. أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، دار العلم والثقافة، القاهرة.

10. أعلام منطقة الأغواط وجهودهم في خدمة الثقافة العربية الإسلامية، أعمال الملتقى الوطني الأول، مخبر الدراسات اللغوية والأدبية، الأغواط، 2017.

11. البعد الجمالي في الدرس البلاغي الجزائري المعاصر، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، المركز الجامعي تامنغست.

12. بن جلول أحمد، "قراءة في المشروع اللساني للتواتي بن التواتي"، مجلة دراسات في اللغة والأدب 12، عدد 1، 2021.

13. بن لعبون أحمد، جهود علماء الجزائر في خدمة اللغة العربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2018.

14. بوعزيز فاطمة، "المنهج التعليمي في المؤلفات اللغوية والبلاغية للتواتي بن تواتي"، رسالة ماجستير، جامعة عمار ثليجي بالأغواط، 2019.

15. بوحملة الزهرة وعبيزة عائشة، "اللسانيات الحديثة ومقاربة التراث اللغوي العربي عند التواتي بن التواتي من خلال كتاب المدارس اللسانية"، مجلة السياق، المجلد 9، العدد 2، 2024.

16. تركي رابح، التعليم في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

17. تلقي المناهج اللسانية الحديثة عند اللغويين الجزائريين – دراسة في جهود التواتي بن تواتي، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح ورقلة.

18. تمام حسان، اللغة العربية: معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 2006.

19. التواتي بن التواتي، "اختلاف لهجات العرب في الهمز والتبيين وعلاقتها بالقراءات"، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، المجلد 6، العدد 1، 2010.

20. التواتي بن التواتي، الخصائص اللغوية والنحوية للهجة بني تميم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2005.

21. التواتي بن التواتي، القراءات القرآنية وأثرها، مجلة الحكمة، عدد 5.

22. التواتي بن التواتي، "اللغة العربية وتحديات العصر: بين التنظير والتطبيق"، مجلة مجمع اللغة العربية الجزائري، المجلد 4، العدد 2، 2008.

23. التواتي بن التواتي، المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.

24. التواتي بن التواتي، المصطلحات بين الفقهاء والنحاة، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.

25. التواتي بن التواتي، علم البيان، دار الوعي، الجزائر.

26. التواتي بن التواتي، علم المعاني، دار الوعي، الجزائر.

27. التواتي بن التواتي، فقه اللغة العربية وخصائصها، ديوان المطبوعات الجامعية (أو دار الوعي)، الجزائر.

28. التواتي بن التواتي، مباحث في علوم القرآن، دار الوعي، الجزائر.

29. التواتي بن التواتي، مباحث في فقه اللغة العربية، دار الوعي، الجزائر، 2010.

30. التواتي بن التواتي، مبادئ في اللسانيات، الجزائر.

31. التواتي بن التواتي، محاضرات في أصول النحو، دار الوعي للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2010.

32. التواتي بن التواتي، مفاهيم في علم اللسان، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.

33. التواتي بن التواتي، مجموعة مقالات في المجلات الأكاديمية الجزائرية حول التراث اللغوي ومباحث في علم اللغة.

34. جامعة عمار ثليجي بالأغواط، كتاب تكريم العلامة التواتي بن التواتي: مسيرة عطاء علمي، منشورات كلية الآداب واللغات، الأغواط، 2018.

35. جامعة قاصدي مرباح ورقلة، أعمال الملتقى الوطني حول جهود اللغويين الجزائريين، منشورات كلية الآداب، ورقلة، 2015.

36. جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: جاد المولى وبجاوي، دار إحياء الكتب العربية، ج1.

37. الجهود اللسانية في الجزائر المعاصرة: بحث في المرجعيات والتطبيقات، كلية الآداب واللغات، رسالة ماجستير.

38. جهود التواتي بن تواتي في تيسير البلاغة العربية، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، جامعة عمار ثليجي بالأغواط، الجزائر.

39. حسين نصار، المعجم العربي: نشأته وتطوره، دار مصر للطباعة، القاهرة، ج1.

40. خليل بوعمامة، "الدرس الصوتي عند علماء الأندلس والمغرب"، مجلة الممارسات اللغوية، جامعة مولود معمري تيزي وزو، الجزائر، العدد 8.

41. الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، ج1.

42. خولة طالب الإبراهيمي، الجزائريون ولغاتهم: مقاربة سوسيو–لسانية، دار القصبة للنشر، الجزائر.

43. الدرس البلاغي عند علماء الجزائر المعاصرين – التواتي بن تواتي أنموذجاً، رسالة ماجستير.

44. رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 6.

45. زينب علي بن معلي، المرأة الأندلسية والمغاربية: إسهاماتها الثقافية والأدبية، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر.

46. سعيد الأفغاني، في أصول النحو، المكتب الإسلامي، بيروت.

47. السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، دار الكتب العلمية، ج1.

48. سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج1.

49. السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، تحقيق: طه محسن.

50. الشريف مريبعي، تاريخ البحث اللغوي في المغرب العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

51. شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، القاهرة.

52. شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة، ط 7.

53. صالح بلعيد، التعريب في الجزائر: واقعه وآفاقه، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر.

54. صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر.

55. صالح بلعيد، في قضايا اللغة العربية، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر.

56. صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2004.

57. طاهري عبد القادر، "الدرس اللساني عند التواتي بن تواتي: قراءة في المرجعيات والآليات"، مجلة الأثر 15، عدد 2، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2021.

58. عبد الجليل مرتاض، الترجمة واللسانيات: قضايا ومقاربات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

59. عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، الجزائر.

60. عبد الرحمن متوي، تاريخ القراءات في بلاد المغرب، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر.

61. عبد الله ركيبي، "ملامح النقد الأدبي في المغرب العربي والأندلس"، مجلة دراسات أدبية، جامعة الجزائر 1، العدد 5.

62. عبد الله شريط، تطور الفكر الإسلامي في المغرب العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

63. عبد المالك مرتاض، قضايا المعجم العربي الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

64. عبد المالك مرتاض، اللغة العربية في الجزائر: تاريخها وقضاياها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

65. عبد المجيد حنون، التراث اللغوي في الجزائر إبان العهدين الزياني والعثماني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

66. عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، دار النهضة العربية، بيروت.

67. عطا الله جوال، "ترجمة اللغوي والمفسر الدكتور التواتي بن التواتي الجزائري"، المكتبة الجزائرية الشاملة، مقال منشور بتاريخ 9 سبتمبر 2017.

68. عده فلاحي، "العلامة التواتي بن التواتي: لا فرق بين المذهب المالكي والمذهب الإباضي"، صحيفة صوت الأحرار، الجزائر، 18 أبريل 2009.

69. عز الدين مجدوب، السياسة اللغوية في الجزائر: المسار والرهانات، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر.

70. عمار جطال، جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في خدمة اللغة العربية، دار الأمة، الجزائر.

71. عمار ساسي، "الكتابة التاريخية والتراجم عند المغاربة"، مجلة عصور، جامعة وهران، الجزائر، العدد 7.

72. غانم قدوري الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، دار عمار، ط1، عمان، 2003.

73. الفيروزآبادي، القاموس المحيط (المقدمة)، مؤسسة الرسالة.

74. قسول محمد، الخطاب البلاغي في الجامعة الجزائرية: الأعلام والمناهج، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، 2020.

75. كمال الدين الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، دار الفكر.

76. لعريبي سمير، "جهود علماء الأغواط في خدمة اللغة العربية: التواتي بن تواتي أنموذجاً"، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر 2، 2021.

77. مازن المبارك، النحو العربي: العلة والنحو، دار الفكر.

78. مباحث الدلالة في فقه اللغة عند علماء الجزائر، مجلة المقري للدراسات اللغوية، جامعة المسيلة.

79. محمد بن سمينة، "الحركة النحوية في الجزائر قديماً: ابن معط الزواوي نموذجاً"، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر 2، العدد 10.

80. محمد بن سمينة، "الدرس العروضي وابتكارات الأندلسيين"، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر 2، العدد 15.

81. محمد حسين الجيلاني، حركة النقد اللغوي في الأندلس والمغرب، دار الأمل للطباعة والنشر، تيزي وزو، الجزائر.

82. محمد خير الحلواني، أصول النحو، دار الشرق، بيروت، ط1، 1987.

83. محمد ساري، "الجهود النحوية والتعليمية في المغرب العربي"، مجلة الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، العدد 12.

84. محمد عيد، سماع اللغة عند العرب، عالم الكتب، القاهرة.

85. مرزوقي حليمة، "جماليات التلقي البلاغي للقرآن الكريم في فكر التواتي بن تواتي"، مجلة المقري للدراسات اللغوية 8، عدد 1، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، 2022.

86. المهدي البوعبدلي، جوانب من الحياة الثقافية بالجزائر في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

87. يحيى بوعزيز، تاريخ التعليم في الجزائر والمغرب العربي، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر.

88. يحياوي محمد، "جهود علماء الجزائر في تحقيق التراث اللغوي: التواتي بن التواتي أنموذجاً"، مجلة الممارسات اللغوية 5، عدد 2، 2019.